الفصل السادس
الصحة النفسية .. وإشباع الحاجات النفسية والعقلية للأطفال

• أولًا : إشباع حاجة الأطفال إلى الحُبّ والحنان :

تؤكّد الدراسات النفسيَّة أنَّ الحُبَّ يلعب دورًا كبيرًا فى نشأة الشخصيَّة وفى تشكيل مفهوم الذات ، إنَّ إحباط الحاجة يؤدى إلى تدهور الحالة النفسيَّة والجسميّة للفرد .

الحُبُّ الذى نعنيه .. هو قبول الطفل ، ورضا المُحيطين عنه ، وتجاوبهم معه ، والاعتزاز بكينونته وشخصيته ، والنظر إليه بنوع من السماحة التى تغفر له أخطاءه ، وتُزكى حسناته ، بحيث يشعر الطفل بأنَّه محبوبٌ أى مرغوب فيه، وأنَّ له ظهرًا يحميه ويُسانده ويؤازره .

والحُبُّ للطفل هو الغذاء النفسي الذى تنمو وتنضج عليه شخصيته وتتفتح، وكما يتغذى جسمه على الطعام ، فإنَّ نفسه تتغذى على الحُبِّ والقبول . والحُب حاجة أساس يتطلَّبها الإنسان فى كل مراحل عُمرِه ،إلَّا أن إشباعها فى مرحلة الطفوله يُعدّ أمرًا حيويًّا وضروريًّا ،لأنَّ إشباعها يسهم فى تشكيل شخصية الإنسان ، ويسهم فى نموّها السليم، حيث يترتب على إشباعها مدى إحساس الفرد بالأمن والطمأنينة ، وهو ما تكون عليه الشخصيَّة من مستوى الثقة بالنفس.

إنَّ قوة الخُلُق ، وسويَّة الشخصيَّة ، والشجاعة ، والأمانة ، والصدق ، والاتزان ، والثقة بالنفس والاعتداد بها ، والرغبة فى أن يكون الفرد إنسانًا خيِّرًا، إنما تنبعث جميعها من شعور الطفل بدفء الجوّ الذى يعيش فيه ، ومن إدراكه بأنَّه موضع الحُبّ والثقة والاحترام، وبأن أعماله وإنجازاته تلقى من المساندة والتشجيع ، ثم الثناء والتقدير ما تستحقه . فإذا أردنا أنْ ينشأ أبناؤنا على الثقة والاطمئنان ، وأن يتجهوا إلى العمل البنَّاء فى تعاون وتضحية وإيثار، وأن يجدوا السعادة فى البذل والعطاء ، فلنمنحهم الحُبَّ أولًا وأخيرًا . والحُبُّ الذى ننشده لأبنائنا هو حُبُّ الإيثار لا الأثرة ، حُبُّ العطاء لا الأخذ .

إن الطفل يكتسب العادات الانفعالية السليمة ، وبالتالي يأتي بالسلوك الاجتماعي

السَّويّ ، إذا ما تم استمرار إشباع حاجته إلى الحُبِّ التي يشعر من خلالها أنَّه موضوع حُبّ والديه وإخوته وأخواته وكل مَنْ يتعاملون معه ، فالطفل إذا شعر أنَّه مرغوب فيه ، وأنَّه موضع حُبّهم فإنَّه يستطيع أن يحقق من هذا الإشباع الكثير من أسباب الاتزان الانفعالي حيال مواقف الحياة المختلفة ، بالإضافة إلى أن إشباع الحاجة إلى الحبِّ تُبعد الطفل عن الإحساس بالكراهية نحو غيره من الناس ، وذلك يمكن أن يُحقق له الهدوء النفسي ، وتقبُّل ذاته ، فينمو نموًّا سليمًا بعيدًا عن مشاعر الخوف ، والاضطراب ، والقلق .

• بدايات ظهور حاجة الطفل إلى الحُبّ والحنان :

هناك أدلة عديدة توحي بأنَّ الأيام من مرحلة الطفولة قد ترتفع فيها نسبة وفيات الأطفال الذين لا يحصلون على حُبِّ الأم ، مقارنةً بالأطفال الذين يحصلون على هذا الحُبّ . ومن هنا فإن هذه الحاجة سوا كانت موروثة أو مكتسبة تُعدّ من أهم الحاجات الإنسانية على الإطلاق .

ليس من الصعب إذًا أن نُدرك أنَّ الرضيع الذى لم يتجاوز عُمره يومًا واحدًا يكف عن البكاء لمُجرَّد حمله واحتضانه ، وليس لتناول الطعام من ثدي أُمّهُ فحسب . وبدءًا من الأسبوع الثالث أو الرابع تبدو لنا مظاهر الابتهاج على الطفل حينما تُحادثه الأمّ أو تلاعبه، فهو يفتح فمه ويُغلقه ، ويميل رأسه أمامًا وخلفًا متأملًا وجهها بإمعان ، ثم بعد ذلك بعدة أسابيع يبدأ الطفل فى التعبير عن ابتهاجه بالابتسام ، وتزداد حاجاته إلى أن يُحمل ويُحتضن . وحين يتعلَّم الجلوس واستعمال يديه فى اللهو تقلّ مؤقتًا حاجاته إلى رؤية أمه فى كل الأوقات . وعلى هذا يصبح أكثر تحمُّلًا لمشهد رحيلها دون صراخ أو بكاء . أمَّا عند الشهر التاسع من عُمره ، فإنه يُثير صخبًا وصياحًا إذا رأى أمه تحمل طفلًا آخر، حتى وإن كان هذا الطفل هو أخوه الأكبر عُمرًا .

وبعد العام الأول يحتاج الطفل لقدر أكبر من الحُب والحنان فيزداد اعتماده على أهله ويُلح فى طلب وجودهم معه باستمرار . وقد يُعاني الطفل أحيانًا من بعض الأحلام المُزعجة ، أو يداهمه شعور غامض بالخوف من أشياء عادية ، لأنَّه لم يألفها من قبل مثل: السيارات او الحيوانات الأليفة كالقطط ، فيتوقع أن تحميه أُسرته من كل هذا المخاوف . كذلك يزداد احتياجه للحُبِّ عندما ينتابه المرض او الألم ، إنَّه يُريد أن يشعر بكونه مرغوبًا، وأنَّ له كيانا مميزًا ، ومكانة اجتماعيَّة داخل الأسرة كأي شخص آخر فيها . كما يحتاج

إلى الحُبِّ والحنان حين يكون متوتِّرًا ، أو يُعانى مأزقًا لا يُحسن التصرُّف فيه ، ويزداد هذا الاحتياج للحُبِّ كلَّما أيقن أنّه غير محبوب أو غير مرغوب فيه .

هذا الإحساس بالحُبِّ يبدأ مع الوالدين ثم يتدرَّج ليضم أشخاصًا آخرين ، يعتبر أساسًا لكل العلاقات المستقبلية ، وعلى أساسه أيضًا يتوقف – إلى حد كبير – مدى نموّ شخصيته ، وقدرته على الاستجابه لعاطفة الحُبّ ، وبمرور الزمن يُصبح الطفل أو الطفلة أبًا أو أمًّا من النوع الذى يمنح الحُبّ ويرعاه .

وممَّا لا شك فيه أن الحاجة إلى الحُب تتسم بعلاقة خاصة بين الأم والطفل، فهى التى تمنحه الدفء والحنان ، إذ تُقبله وتداعبه وتحضنه وتدلله وتبتسم له، وتمنحه أيضًا البهجة والمسرَّة به ، ولأجل ذلك كلّه تصبح الأم بالنسبة له كيانًا حيويًّا وضروريًّا لا يمكن الاستغناء عنه ، ومن ثمّ يثق الطفل بها ثقه مُطلقه ، وبالتالى يثق فى البيئة من حوله .

• كيف نكتشف حاجة الطفل إلى الُحبّ والحنان ؟

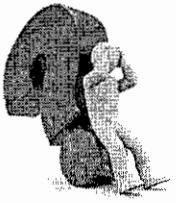

كثيرًا ما نكتشف حاجة الطفل إلى الحُبِّ والحنان من خلال ما يقوله صراحة : "أنا أرغب فى أن تحبنى أمّى" ، أو ما يُعبِّر بقوله أيضًا : "أشعر أن أبي لم يعد يُحبنى" !! كما تظهر حاجة الطفل إلى المزيد من الاهتمام والرعاية والعناية ، حينما يقول مثلا : "أنا أفتقد أبى بشدة .. فهو لا يجلس معى يُحادثني إلَّا نادرًا " . أو عندما يقول : "أتمنى لو شاركتني أمّى فى لعبى"!!

ومن جهة أُخرى ، فإن الطفل الذى يعوزه الحُبّ والحنان قد يُعبِّر عن رغبته فى إظهار حُبِّه لوالديه ، عندما يقول : "ليتنى أستطيع أن أفعل شيئاً لأُبيِّن لوالديّ كم أُحبهما كثيرا" !!

كما أنَّ الطفل المُحتاج للحُبِّ والحنان يبدو – فى العادة – متمسكًا بمظهر الحنان، كأن يطلب من أمه أن تسمح له بإمساك يدها ، أو نراه يبكي بكاءً شديدًا عند انصراف أبيه. وهذا الطفل قد يُبدى – بصفة عامة – رغبة عارمة فى الالتصاق بالناس . على أنَّ بعض هؤلاء الأطفال قد تكون لهم ردود أفعال غير سويَّة ، فقد يفكرون فى الهروب من المنزل ، أو قد يجنحون إلى السرقة أو الكذب ، أو قد يميلون إلى الكسل أو التلكؤ ، وفى بعض الأحيان قد يُظهرون عطفًا شديدًا تجاه الحيوانات أو الطيور أو الدُّمى أو حتى اللُّعب .

والطفل المُفتقد للحُبِّ والحنان نجده كثيرًا ما يتشبث بأمه أو أبيه أو براشد مألوف (كالعم أو الخال) . وقد يكون طفلًا شديد الحساسية ، ومن السهل إيذاء مشاعره خاصة إذا كان النقد او اللَّوم صادرًا ممَّن يُحبّهم .أو قد يكون متبلد المشاعر ، أو قلقًا أو سهل الاستثارة كثير البكاء ، أو قد يلجأ إلى مصِّ أصابعه أو قرض أظافره ، أو قد يُفرط فى تناول الطعام . وهو طفل يمرض كثيرًا ، وقد يكون قارئًا نهمًا وخاصة للقصص الغارقة فى الرومانسية أو للروايات الغرامية .

• عندما يتم إغفال حاجة الطفل إلى الحُبِّ والحنان !!

يُخطئ بعض الآباء والأمهات إذ يربون أبناءهم تربية مبنية فقط على العقل والمنطق ، فهذه التربية بلا شك تكون مؤسسة بالدرجة الأولى على مجموعة من القواعد الجافة الخالية من الحُبِّ والتواد والتعاطف ، على حين يريد الطفل أن يشعر شعورًا تامًا بحبِّ والديه له ، ولذلك ، فإن حالات كثيرة من سوء التوافق كالسرقة والهرب والمشاكسة والعدوان يكون سببها الأساسي جفاف وفتور المُعاملة الوالدية ، وافتقاد الأبناء عاطفة الحُبّ والحنان .

ويُخطىء هؤلاء الآباء والأمهات أيضا إذا أهملوا اهتمامات أطفالهم أو أعمالهم ، وعندما لا يخصصون أوقاتاً مُعيَّنة للحديث معهم أو مناقشة أمورهم، أو إذا قالوا لطفلهم وهم يؤنبونه : "لا تأت إلينا بمتاعبك" !! أو : "اعتمد على نفسك وحل مشكلاتك بمفردك"!! إنَّهم بذلك يُضاعفون من شدة حاجته إلى الحُبِّ والحنان .

وجدير بالذكر أنَّ كثيرا من الآباء والأمهات لا يُعاملون أبناءهم معاملة تنم على الحُبِّ والحنان ، وشاهد على ذلك أنَّهم يصدونه إذا ما تحدَّث معهم أو وجه إليهم أي استفسار . ونأسف إذ نقول إنَّ المبدأ التربوي الشائع فى نطاق معظم الأسر هو مبدأ عدم تقديم الحُبّ للأطفال ، مُفضلين أن يُعاملوا أبناءهم من منطلق الحزم فقط ، بينما يغفلون جانب الحُبّ وإبداء التعاطف مع الصغار .فإذا أردنا للتربية أن تكون متكاملة بحيث تتسم بالسويَّة ، فلابد من إبداء الحُبّ لهم من جهة وإبداء الحزم فى معاملتهم من جه أُخرى .

عمومًا إنَّ الطفل الذى لا تُشبع حاجاته إلى الحبِّ والحنان يُعاني من "الجوع العاطفى" ويشعر أنَّه غير مرغوب فيه ، فيصبح سيئ التوافق، مضطربًا نفسيًّا ، ممَّا يؤثِّر على صحَّته النفسيَّة بالسلب ، على العكس من الأسرة التى تخلق لطفلها الشعور بالحُبِّ وتتعهد بالنماء،

وهو الشعور الذى يؤدي إلى انتظام حياة الطفل النفسيَّة ، واستقرار مشاعره الاجتماعيَّة، لأنَّه بدون هذا الحُبّ أو الأمن النفسي يفشل الطفل فى التفتُّح والازدهار من الناحية الجسمية ، وتنشأ لديه اتجاهات شخصيَّة تعوق نموه العقلي والنفسي والاجتماعي السليم، لذلك فإنَّ الطفل الذى يتمتع بالحُبِّ ينمو شخصًا مُحبًا لمُعلِّميه ولرؤسائه ، بل ومُحبًّا للناس جميعًا .

• إغداق المال .. هل يُعوِّض الطفل عمَّا يفتقده من الحُبِّ ؟!

كثيرًا ما يقول الآباء والأمهات : "طفلنا يحصل على الحُبِّ .. فنحن نوفر له ما يُريده، وكل ما يمكن أن يشتريه بالمال " !! ولكننا نقول : إنَّ الحُبَّ الذي نبغيه لأطفالنا أكثر من ذلك بكثير لأنَّ سعادة الطفل لا تتم بإعطائه ملء الأرض ذهبًا ، فى هذا يقول "بنجامين فرانكلين" : "المال لم يجعل إنسانًا سعيدًا .. ولن يفعل أبدًا .. فليس فى طبيعة المال شيءٌ يُنتج السعادة" .

هناك فى الواقع ألوف من بيوت الفقراء ، التى لا تحتوي من المال إلَّا القليل الذى لا يكفى لشراء شيء ذي قيمة للطفل ، ولكننا نجدها بيوتًا عامرةً بالحُبِّ، غامرةً بالودِّ ، فيَّاضةً بالحنان . ليس الحُبّ إذًا هو أن نمنح الطفل كل ما يمكن للمال أن يشتريه ، وواقع الأمر أنَّ جزءًا مُهمًّا من تربية الطفل لابدّ من أن يوجّه إلى تعليم الطفل ، أنَّه لا يستطيع حتمًا أن يحصل على كل ما يُريده ، وبالتالى لابدّ أن يتعوّد كلمة : "لا" .

إنَّ إشباع حاجة الطفل إلى الحُبِّ لا تعنى فقط الاهتمام بإحضار المتطلبات المادية التى تتمثَّل فى المأكل والمشرب والملبس واللُّعب والأدوات، إنما تعنى الاهتمام بالجانب العاطفى الذى يتمثَّل فى الحنان والعطف والمودة، ومراعاة المشاعر ،وإدراك المتسوى العقلي للطفل عند محادثته ، والأسلوب المستخدم فى التعبير عن هذه المشاعر ، وإدراك المستوى العقلي للطفل عند محادثته ، والأسلوب المستخدم فى التعبير عن هذه المشاعر ، بما يُحقق الهدف الجوهري من إشباع حاجة الحُبّ بالنسبة للطفل ، وهو الإحساس بالأمن النفسى والطمأنينة، وما يترتب عليه من نموّ الثقة بالنفس لديه . كما يمكن للوالدين أن يقوما بإشباع حاجة الطفل للحُبِّ بأساليب غير مادية كالابتسامة الرقيقة ، وما يصدر عن وجهيهما من تعبيرات تُعلن السرور لرؤيته ، فضلًا عن التسامح فيما يصدر عن الطفل من سلوكٍ يتنافى مع القيم التى مازال الطفل غير مُدرك لها ، والالتزام بالصبر فى معاملته ،

وتقبُّله كما هو ، وألَّا يتوقع منه أن يُصدر نمطًا سلوكيًّا أكثر من قدراته . وفى الوقت نفسه لا بدّ من الاهتمام بتعليمه النظام والدقة فيما يصدر عنه من سلوك ، بأسلوب يُدرك من خلاله الطفل أنَّه موضع حُبّ وتقدير وإعجاب ، ممَّا يجعله يشعر بأنَّه مرغوب فيه ، وهذا من شانه أن يُشعره بمزيدٍ من الإحساس بالأمن النفسي ، ويرفع من مستوى ثقته بنفسه .

عمومًا ، فإنَّ الطفل يحتاج إلى شيء لايمكن أن يوفره له المال ، هو حُبّ أمه وعطفها عليه ، وفهمها إياه ، قال الفيلسوف الشهير "جوته" يصف فيها شعور الطفل الصغير تجاه أمه : "سُئل ولدٌ صغيرٌ : أين بيتك ؟ فنظر الولد الصغير إلى أمه بعينين مملوءتين بالحُبِّ وقال : بيتى حيث تكون أمى" ، يالها من عبارة عميقة القيمة والأثر . وهناك مأثورة أخرى تؤكِّد معنى الثقة المطلقة فى الأب: " تقدَّم رجلٌ نبيلٌ نحو طفل صغير مسافر فى قطار وسأله:

- " هل أنت مُسافر وحدك يا ابنى ؟

- نعم يا سيدى .

- إلى أين تسافر ؟

- إلى نهاية الرحلة .

ألا تخاف من القيام بهذه الرحلة الطويلة وحدك ؟

- كلا .. لستُ خائفًا .

- لماذا ؟

- لأنَّ أبي هو سائق القطار ."

• كيف نُحبّ أطفالنا ؟

1 - أن نُحبَّهم حُبًّا واعيًا مُستنيرًا :

الحُبُّ الواعي المستنير يقتضي منا أن نبدأ أولًا بإحاطة الطفل بجو من دفء المشاعر والحنان والإقبال عليه ، فإنَّ ذلك خليق بأن يملأه ثقة بنا واطمئنانًا إلينا، وبالتالي ثقته بنفسه ، واطمئنانه إلى العالم من حوله ، والطفل فى أشد الاحتياج إلى هذه الثقة كى يخطو الخطوة التالية فى مسيرته نحو النضج بنجاح وسوية . أمَّا الخطوة التالية ، فهى العمل على خروج الطفل من أنانيته تدريجيًّا ، فنحن لا نستطيع أن نتوقَّع زوال الأنانيَّة إلَّا

بعد انتهاء السنة الثالثة من عُمر الطفل ، كما لا يمكن إلزام الطفل بترك الأنانيَّة ، فهو يتركها بالتدريج ويتعلَّم الإيثار بالتقليد والمُحاكاة والتوجيه السليم ، وليس لنا أن نتوقَّع أنَّ طفل الثانية أو الثالثة من العُمر يُشارك طفلًا آخر فى لُعبة ، ويكون من الخطأ أن نحاول دفعه إلى ذلك ، فهو لا يتعلَّم ترك الأنانيَّة بالقوة .

وينبغى على الأمِّ أن تساعد طفلها على مشاركة الآخرين فى اللَّعب بطريقة خاصَّة، فإذا جلست بالقرب منه وهو يلعب ، عليها أن تُظهر اهتماهًا بلُعبته وتلمسها بيدها ، وهو قابض عليها فإذا أعطاها إياها ، عليها أن تأخذها منه وتشكره ثم تُعيدها إليه في الحال ، حتى لا يشعر بأنَّه فقد اللعبة .. وبذلك يتعلَّم المشاركة .

وعلى الأمِّ أن تنوِّع الألعاب التى تُشارك طفلها فيها ، والتى تجعله يُعطى ويأخذ ، وعلى سبيل المثال يمكن للأمِّ أن تُعطى طفلها قطعتين من الحلوى ، وتطلب منه أن يأخذ لنفسه واحدة ويُعطى الأخرى لأخيه ، وعليها أن تكرر الجملة التالية : "هذه لك أنت ، والأخرى لأخيك" ، حتى يُدرك الطفل ما تعنيه الأم ، وعندما يُنفذ طلبها ، على الأمِّ أن تضمَّ طفلها إلى صدرها وتشكره ، حتى يُدرك الطفل ما تعنيه الأم ، ألَّا تقلق عندما يتشبث الطفل بحاجياته ، ويرفض العطاء والمشاركة مع الآخرين فى اللَّعب بحاجياته أو لُعبه ، لأنَّ هذه السمة طبيعية فى جميع الأطفال حتى سن الثانية أو الثالثة .

ومن الأفضل ألَّا نضغط عليه ، إذ أنَّ تشبثه بحاجياته هو نوع من سلوك مرحلي ، يتطلَّب مرونة الأم ، وفهمًا لطبيعة الأطفال ، فيتخلَّص من أنانيته بالممارسات التى تُعطيه فرصة ممارسة العطاء وعدم الأنانية .

وينبغى على الوالدين أن يبذلا جهدًا خاصًّا لضرب المثل والقدوة فى التعاطف والإيثار والكرم ، ولتشجيع الطفل على أن يتصرَّف تصرُّفات مماثلة ، وينبغى ألَّا نعمد إلى تأنيب الطفل إذا لم يتصرَّف بالأسلوب نفسه ، ولا يفوتنا أن ننوّه أنّه إذا عَرَض الطفل بعض ما يملكه من حلوى على أحد أفراد الأسرة الكبار ، ليشاركه فيها فلا يجب أن نعتذر، بل يحسن أن نتقبلها منه بترحيب واهتمام وتشجيع ، كى يتعلَّم العطاء . وكذلك يجب أن تكون لدى الطفل أشياؤه الخاصَّة ، حتى نُعلِّمه ما الفرق بين الملكية العامة والملكية الخاصة، وحتى يتعلَّم كيفية المحافظة على ملكية الآخرين الخاصة.

ونحن نُحذر أن نقوم عن الطفل بإنجاز بعض الأعمال بحجة الاقتصاد فى

الوقت والجهد ، لأنَّ ذلك سوف يحرمه لذة الاكتشاف والتجريب واكتساب الخبرة، على أنَّه إذا أصاب نجاحًا فى أعماله التى نراها صغيرة ، ويراها هو كبيرة ، نال منّا الغبطة ولقى الثناء ، وإذا أصاب فشلًا لمس منا الهدوء والتشجيع على أن يُعيد المحاولة من جديد .

2 - أن نُحبَّهم حُبًّا سويًّا :

الحُبُّ السوىّ يعنى أن يفهم الآباء والأمهات متطلبات الطفل وحاجاته ، وإشباعها بالقدر المناسب والمعقول ، وأن يلقى منهم مشاعر الحُبّ والعطف والرعاية ، لأن ذلك يجلب له الإحساس بالأمن النفسى والطمأنينة التى تتيح للطفل إمكانية إشباع كافة الحاجات الأخرى .

ويمكن أن تُشبع دائمًا حاجة الطفل للحُبِّ عن طريق إحساسه بأنَّه موضع الاهتمام والرعاية والعطف . بشرط ألَّا يُبالغ فى إبراز هذه المشاعر حتى يتمكَّن أن يتحقق العائد النفسي من إشباع حاجاته إلى الحبِّ والحنان .

ومن سمات الحُبّ السَّوي أن يقوَّم الطفل لذاته وبصرف النظر عن جنسه ذكرًا كان أم أنثى ، أو حسب مظهره أو قدراته أو شخصيته ، وهو حُبّ يعنى الفهم والتسامح والصبر، بحيث لا نتنظر منه أكثر ممَّا ينبغى ، وأن نجعله على ثقةٍ فى كل وقت من أنَّه مرغوب فيه ومحبوب .

والحُبّ السوي يتضمَّن كذلك الحزم ورد الفعل المتبصِّر بدلًا من التأنيب الجارح، كما يعنى تجنُّب مصادر الاحتكاك ، مثل الاستعجال المستمر وفقدان الصبر ، ويعنى تحاشي الاستهزاء بالطفل أو مقارنته بالآخرين ، إذا أخفق فى أداء عملٍ ما ، وتجنُّب الحديث عن عيوبه أمام إخوته أو الأهل أو الأصدقاء .

وننوه بأنَّ الصغار يحتاجون دائمًا إلى الحُبِّ ، وبخاصة عندما يكونون فى حالات لا تُغرى بحبِّهم ، فالطفل البالغ عامين ونصف والذى يبكى عند إيقاظه من النوم ، أو الطفل الذى يغضب ويشاكس ويُبدى رغبة فى أن يفعل عكس ما يُطلب منه ، لا يحتاج إلى تأنيب أوعقاب – كما يتصوَّر البعض – بقدر ما يحتاج إلى الحبِّ والتفهُّم .

ويصعب أن يطمئن الطفل إلى حُبِّ أبويه إذا كانا لا يكفان عن تأنيبه وتوجيه اللَّوم إليه عند ارتكابه لأي خطأ ، فمثل هذا الطفل يشعر غالبًا بأن أبويه يقفان له بالمرصاد وأن

كل ما يفعله خطأ ، ولذلك . فإن هناك بيوتًا كثيرة تمضى فيها الأيام حافلة بالعذاب ، مرهقة للأطفال وللآباء معًا .

ويجب أن نتذكر دائمًا أنَّه ليس هناك طفل يفسده الحُبّ ، وإنما الذى يفسده حقًا هو نقص الحُبّ . وأخيرًا .. ينبغى للأمّ أن تسأل نفسها – وكذلك الأب – من حين لآخر :

- هل أُحبّ ابنى حقًّا حتى عندما يكون فى أسوأ حالاته ؟
- هل أحرص على مشاعره بعدم الحديث عن سوء سلوكه أمام الآخرين ؟
- هل أُقدِّم لطفلي ما يجعله يشعر بأنني لا أُحبُّه فى كل الأوقات ؟
- هل يزداد حُبى له وإن أبدى من الحُبِّ نحو أبيه أكثر ممَّا يُبديه نحوي ؟

هذه الأسئلة وغيرها نراها لازمة وضرورية لتصحيح الأوضاع ، ووضعها فى نصابها الصحيح ، وذلك لمنح أطفالنا حُبًّا سويًّا يؤهلهم إلى مستوى مناسب من الصحَّة النفسيَّة .

3 – أن نُحبَّهم حُبًّا غير مشروط :

ليس من المستحسن أن تقول الأم : "أنا أُحب وفاء لأنَّها متفوقة فى دراستها". وإنما الأفضل أن تقول : "أنا أُحب وفاء لأنها ابنتى". هذا هو الحُبّ غير المشروط الذى لا يمكن الاستغناء عنه لنموّ الشخصية نموًّا سويًّا ، ولأنَّه الغذاء الضروري المهم لضمان صحَّته النفسيَّة حتى فى المراحل المتقدمة من العُمر ، إنَّه الحُبّ الذى يدعو إلى القول : "أُحبك على الرغم ممَّا تفعله". فهو حُبّ يُساعد على نموّ الثقة بالنفس ، ويخلق فى الفرد إحساسه الطيب نحو ذاته، ويؤدى به إلى الرَّغبة الصادقة فى أن يحاول ويُغامر بدون خوف أو رهبة من نتيجة الفشل، وهو الحُبّ الذى يُساعد على نموّ الأطفال وهم واعون ومدركون للحياة، إنَّ نقصّ هذا الحُبّ غير المشروط يكون السبب الرئيسي فى انحراف شخصية الطفل .

وينبغى أن يُمتدح الطفل لشخصة ، أكثر ممَّا يُمتدح لما يأتى به من أفعال، فالاتجاه السائد الآن هو أن يُمتدح الطفل ويكافأ حين يبذل جهدًا كبيرًا، ويحصل على مستوى عالٍ من النجاح . وبهذا يُصبح من السهل أن يشعر الطفل أنَّ هذه النجاحات هى المصدر الوحيد لنيل المدح والمكافأة والقبول والحُبّ . ولذلك ينبغى أن نغدق على الطفل كثيراً من المديح والثناء والحُبّ دون الربط بالتحصيل الجيد أو النجاح .

وأخيرًا فمن أكبر الأخطاء التى يقع فيها الآباء والأمهات هى عقد مقارنات بين

الأطفال وإخوتهم أو أخواتهم ، لأنَّ ذلك من شأنه أن يُدمِّر أواصر الحُبّ والألفة بين الإخوة والأخوات ، ويشعل فى نفوسهم لهيب الغيرة الهدَّامة التي تنعكس على تطوراتهم السلوكية. إنَّ الطفل يكون أشد احتياجًا لأنّ يشعر بأن أسرته وأهله يحبونه كما هو ، ويتقبلونه لذاته دون أن يُكدروا عليه صفو حياته . ولذا يتعيَّن على الآباء والأمهات اختيار الكلمات للتعبير عن وجهة نظرهم فيما يصدر عن الطفل من سلوك ، بحيث يشعر بمدى حُبّ الوالدين الصادق له واهتمامهما به . كما أنَّه يمكن إظهار مشاعر الحُبّ للطفل عن طريق إبراز ما لديه من صفات طيبة أو قدرات عالية أو مهارات متقنة أمام الأهل والأصدقاء، بما يكسبه الإحساس بالأمن وإدراك قدراته الحقيقية.

• ثانيا : إشباع حاجة الأطفال إلى الأمن والأطمئنان :

الأمن Security بمعناه السيكولجى هو شعور المرء بقيمته الشخصيَّة واطمئنانه إلى وضعه ، وثقته بنفسه ، وهو شعور ينشأ لدى الطفل فى أعقاب حصوله على نسبة كافية من التقدير والتشجيع ، سيما من جانب والديه او مُعلِّميه أو المعنيين بأمره .

والحاجة إلى الأمن The Need Of Security هى حاجة مُلحَّة يحتاج إليها الطفل من أمه وأبيه ومن كل الكبار حوله ، ويستمر هذا الدافع حتى مع الكبار البالغين ، لأنَّ البالغ يخشى المستقبل ويريد أن يطمئن على مستقبله ، وقد نجده فى سبيل ذلك يدخر مالاً ، أو يعمل ليشغل منصبًا يوفر الأمن والطمأنينه له ولأسرته من بعده .

كما أن المرء يحتاج إلى أن يشعر بأنَّه بعيد عن الخطر ، سواء أكان خطرًا ماديًّا يُهدِّد حياته أو صحَّته ،أم خطرًا معنويًّا او عاطفيًّا يُهدِّد سعادته واطمئنانه ، وعلى ذلك فالطفل فى حاجة إلى أن يشعر أن وراءه أبًا أو أمًّا أو أخًا يحميه ويدفعون عنه الخطر ، ويشعرونه بالحُبّ والود ، ويوفرون له ما هو فى حاجة إليه من مأكل ومشرب وملبس .

كما يتولَّد الشعور بالأمن من إحساس الطفل بأنَّه حينما يمرض يجد مَن يرعاه ، وحينما يجوع يجد من يوفر له الطعام ، وحينما يشعر بالبرودة يجد من يوفر له الكساء ، وحينما يُجابه مشكلة أعلى من مستوى إدراكه يجد من يُساعده فى حلِّها والتغلُّب عليها ، ويُعينه على اكتساب الخبرة .

دور الأمّ فى إحساس الطفل بالأمن :

الحاجة إلى الأمن والاستقرار من أقوى الدوافع والحاجات النفسيَّة التى يحتاجها

الطفل ، وهو يعنى أن يشعر بأنَّ من يحيطون به ويتقبلونه ، ويعملون على إشباع دوافعه وحاجاته . بمعنى أنَّ البيئة المُحيطة به تحوطه بالحُبِّ والحنان والرعاية ، ويقوم هذا الإحساس على الخبرات الفعلية ، فلكي يكون الطفل آمنًا يجب أنْ يحظى من الوالدين وخاصَّة الأمّ بإشباع حاجاته الأولية بدرجة كافية وفى ظروف طبيعية آمنة ، وتتمثَّل الظروف الطبيعية فى أن تكون الأمّ متقبلة لطفلها ، حانية عليه .

والأمُّ هى صاحبة الدور المهم والحاسم فى خلق إحساس الأمن فى نفس الطفل ، باعتبارها المنوط بها رعاية الطفل ، وإشباع حاجاته فى سنيه الأولى من طعام وشراب ونظافة وغيرها . والأمُّ هى رمز الإشباع عند الطفل وبالتالي فهى مصدر الأمن الأساسي، والأمُّ تأخذ هذا المركز المهم والمؤثِّر ليس بصفتها الأم البيولوجية ، ولكن بصفتها الأم السيكولوجية التى تمنح الدفء والحُب والحنان وتقوم بالرعاية والاهتمام والأمان . وبذلك تصبح الأمّ – باعتبارها مصدر الحنان للطفل وملاذه فى إشباع حاجاته – السند الانفعالي والوجداني له . فهو بلا شك يشعر بالأمن فى وجودها ويفتقده بشدة إذا غابت عنه ، ولذلك يُمثل رحيل الأمّ بالانفصال أو بالوفاة خبرة صادمة ومؤثِّرة فى حياة الطفل الانفعالية والوجدانية . ومن الثابت نفسيًّا أن الشخص الذى يفقد سنده الانفعالى فى الصِّغر يكون شديد الحرص على طلب الأمن فى الكبر .

الطفل الذكي .. والإحساس بالأمن :

يحتاج الطفل الذكي إلى الحصول على مصادر أمن أكثر من أقرانه متوسطي الذكاء، لأنَّه كلَّما ارتفع مُعدل ما يملكه من ذكاء ازداد وعيه وإدراكه بالأخطار المادية والمعنوية المُحتمل أن يُقابلها . ولذلك فمن الضروري توفير مصادر الأمن لضمان استقرار مثل هذا الطفل الذكي وهدوئه الانفعالي فى المستقبل . أمَّا إذا لم يتوافر الأمن بالدرجة الكافية ، فيؤدي ذلك إلى وقوعه فى دوامة الخوف ، ومن ثمَّ القلق والتوتُّر المُصاحب له ، واعتلال صحَّته النفسيَّة ليجنح فى النهاية إلى اللَّا سوية .

تطور حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن :

- مرحلة الرضاعةNursery (من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية):

الطفل فى هذه المرحلة أكثر إلحاحًا فى طلب الحاجة إلى الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة ، ذلك لأنَّه لا يزال فى حاجة إلى الاعتماد على غيره ، وتزداد رغبة الطفل فى

الإحساس بهذه الحاجة – خاصّة فى السنة الأولى – إذا مادخل أماكن جديدة لأول مرَّة، لأنَّه يرى فيها أشياء غير مألوفة لديه ، قد تُسبِّب له الإحساس بالقلق والفزع إذا لم يكن بصحبة والديه ، لأنَّ الوالدين بالنسبة للطفل – وخاصة فى هذه المرحلة – يعتبران مصدر إحساسه بالأمن النفسى .

وتصبح هذه الحاجة مطلبًا مُلِحًّا وضروريًّا للطفل فى حال إصابته بمرضٍ من الأمراض ، أو إحساسه بالألم أو الشعور بالتعب ، أو فى حالة غضبه أو بكائه ، أو أىّ سبب من الأسباب الأخرى التى تجعله فى حالةٍ من القلق المستمر. فإذا أحس الطفل خلال هذه المواقف أنَّه موضع اهتمام ورعاية ممَّن يحيطون به – وبخاصة الوالدين – فإنَّ حاجته لإشباع شعوره بالأمن النفسى والطمأنينة يمكن أن تتحقق .

ولكى يتم إشباع حاجة الطفل للإحساس بالأمن ، لابد من أن ينال العناية الكاملة أثناء عملية الرضاعة ، ذلك لأنَّ الأمن النفسي مرتبط بالأمن الغذائى ، فلا يمكن فصل إشباع حاجة الطفل إلى الطعام والشراب عن إشباع حاجته إلى الأمن النفسي . ولذا يتحتم على الأمّ أن تكون فى حالة نفسيَّة طيبة عند إرضاع وليدها ، لأنَّ الهدوء النفسى الذى تتمتع به الأمَّ حال الإرضاع ينعكس على الطفل . وعلى ذلك يمكن لها أنْ تلمس جسم طفلها ، وتتحسس شعره ، وتربت على كتفيه ، لأنه بذلك ينال الأمن الغذائى ممثلاً فى لبن الأمّ ، وفى الوقت نفسه يشبع حاجاته إلى الأمن النفسي عن طريق هذه المشاعر العاطفية التى تبديها الأمّ، ولأنَّ الرضاعة مصدر أساسي ومهم لإحساس الطفل بالأمن النفسي والطمأنينة . ويجب على الأمِّ أن تبتعد عن فكرة الإرضاع الاصطناعية، لأنَّها لا تعطي للطفل سوى إشباع حاجته إلى الطعام والشراب ، ولكنه يفقد الإحساس بالأمن النفسي. وإذا ما حالت الظروف الصحية بين تحقيق الرضاعة الطبيعية للأمِّ فلابدّ من أن تكون على درجة من الوعي والإدراك لأهمية إشباع الحاجة إلى الأمن النفسى لطفلها بمحاولة تمثيل موقف الرضاعة الطبيعية ، أي احتضان الطفل بين ذراعيها ومداعبته وإلصاقه بجسمها .

وقد أشارت نتائج الدراسات فى هذا المجال إلى أهمية الاتصال البدنى بين الأم وطفلها أثناء إرضاعه وبين ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس لملاصقتها إياه فى تكوين الارتباط العاطفي بينهما ، وما يمكن أن يكون عليه الطفل من استواء الشخصيَّة .

ويمكن للأمِّ أن تُدرك عن طريق الملاحظة أنَّ الطفل ينام بعد كل رضعة أو تبدو عليه

علامات المرح والهدوء ، وهى دلائل على شعوره بالإشباع وإحساسه بالأمن ، ممَّا أدى إلى استرخاء أعصابه ونومه أو سروره.

وممَّا تقدَّم يمكن القول بأنَّ الطفل فى هذه المرحلة يتطلَّب لبناء شخصيته الإنسانية السويَّة إشباع الحاجة إلى الأمن النفسي والطمأنينة ، ذلك لأنَّها تُسهم إسهامًا إيجابيًّا فيما يكون عليه النموّ النفسي السليم للشخصيَّة ، وما يمكن أن يتمتع به الإنسان من مستوى الثقة بالنفس والصحَّة النفسيَّة السليمة .

- مرحلة الطفولة المبكرة Early Childhood (من عامين إلى ستة أعوام):

وتظهر فى هذه المرحلة مشاعر الخوف ، فيلاحظ أنَّ الطفل يخاف من الأشياء التى تُهدِّد ذاته وتُفقده الإحساس بوجوده ، ولذلك يُعتبر استمرار الحاجة إلى الأمن النفسي والطمأنينة أمرًا مُهمًّا يجعله يُدرك بأنَّه محميٌّ من أية عوامل خارجية قد تُهدِّد حياته أو مستقبله . وبناءً على ذلك ينمو الطفل فى مناخ نفسي يُحقِّق له القدرة على المبادأة بالاتصال بغيره ، ممَّن هم فى مثل عُمره دون خوف أو وجل ، الأمر الذى يترتب عليه إحساس بالقدرة على إشباع حاجاته إلى الانتماء لجماعة ، سواء كانت هذه الجماعة هى أسرته أورفاقه ، بحيث يُدرك مالديه من قدرات وإمكانات وطاقات فيترتب عليه أن يتوافق الطفل توافقاً اجتماعيًّا سويًّا .

- مرحلة الطفولة المتوسطة Middle Childhood (من ستة إلى تسعةأعوام):

طبيعة النموّ فى هذه المرحلة تتطلَّب الاستمرار فى إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي والطمأنينة ، لما لها من أهمية فى إحداث الاتزان الانفعالى للطفل، لأنَّه كلَّما شعر الطفل بالاطمئنان والأمان أيقن أنَّ سلوكه الذى يُصدره إنما هو سلوك سليم وإيجابي. بالإضافة إلى قدرته على إقامة علاقات اجتماعية مثمرة تُكسبه مزيدًا من الخبرات الإيجابية .

- مرحلة الطفولة المتأخرة Late Childhood (من تسعة إلى اثنى عشر عاماً):

الحاجة إلى الأمن والاطمئنان لا تعني تلبية حاجات الطفل المادية من مأكل ومشرب وملبس فحسب ، وإنما تعني مدى الإشباع العاطفي ، وإحساس الطفل بأنَّه لا يزال موضع قبول من والديه وبقية أفراد أُسرته ومُعلِّميه . ولذا يجب على كل من الوالدين والمُعلِّمين أن يهتموا كثيرًا بحاجات الطفل الأساسية، والعمل على إشباعها بالقدر المعقول والمناسب ،

وأن يُهيئوا له مناخًا أُسريًّا ومدرسيًّا صالحًا وسويًّا ، بما يجعل الطفل يشعر بالثقة بنفسه وبالآخرين أيضًا ، فيفصح عمَّا بداخله من رغبات ويُنفس عمَّا يخفيه من مشاعر وانفعالات. الأمر الذى يترتب عليه تفريغ ما لديه من طاقات انفعاليه والتخلُّص من مكبوتاته بطرق سوية ووسائل ملائمة ومناسبة . وبهذا يُسهم إشباع هذه الحاجة فى المحافظة على ما لديه من أمن نفسى وطمأنينة ، فيدفعه هذا إلى ممارسة أنواع النشاط المختلفة التى تُحقق له مزيدًا من الصحَّة النفسيَّة التى نبغيها ونسعى إليها.

• يشعر الطفل بالأمان فى أُسرته ، ويفتقر إليه خارجها !!

يكون الطفل فى الغالب آمنًا فى بيته ، سيما إذا كانت العلاقة بينه وبين أبويه علاقة يسودها دفء المشاعر من حُبٍّ وحنان وإيثار ، هذا من جانب ، كما يحس الطفل بالأمن والاستقرار متى كانت القيم داخل نطاق الأسرة تميل إلى المرونة وعدم المُغالاة فى الضوابط والنواهي من جانبٍ آخر .

على أن الطفل إذا ذهب إلى مكانٍ لم يره إلَّا لأول مرَّة أحس بالخوف والرهبة، فنجده صامتًا ، وإذا تحدَّث فإنَّه يكون قليل الكلام ، ويمتنع أحيانًا عن تناول الطعام والشراب الذى يُقدَّم إليه ، وهو لا يجرؤ كذلك على اللَّعب مع أقرانه الغرباء . وهذه كلها فى حقيقة الأمر ظواهر نتجت من عدم إحساسه بالأمن ، ولكن إذا ما تكررت زيارته لهذه الأماكن ، وتردد عليها بين الحين والآخر ، نراه وقد استوعب جيدًا قواعد وقيم وضوابط هذه الأماكن وبالتالي يتخلَّص تدريجيًّا من الإحساس المزمن بفقدان الأمن .

• أشياء مُعتادة ، تمنح الطفل الإحساس بالأمن :

قد يتشبث الطفل بمصاحبة لُعبه التى يؤثرها ويُحبّها أثناء ذهابه إلى الفراش، فقد يصطحب الطفل جواده أو عربته ، وقد تصطحب الطفلة عروستها قبل أن تستغرق فى النوم وكل هذه الأمور مدعاة لطلب الأمن .

كذلك يشعر الطفل بالأمن إذا نام فى فراشة المُخصَّص له دون أن تدعوه الظروف إلى استبداله أو تغييره .

وقد يُفضِّل الطفل سماع القصص والحكايات من أبويه وذويه بنفس الكلمات المُعتادة أو المألوفة كى يشعر بالأمن والأطمئنان ، واعتياد الطفل لنفس الشىء سواء اللُّعب أو

الأماكن أو الأشخاص ، يُعطيه الإحساس بالأمن والأمان . وهذا ما قد يُفسِّر انزعاج الطفل عندما يرى أشخاصًا غرباء غير مألوفين لديه ، ولكن حينما يألف الطفل هؤلاء الأشخاص يتلاشى الخوف والانزعاج ، ليحلّ عوضًا عنه التعود والحُبّ والترحيب والاندماج.

• الشعور بالأمن .. والثقة بالنفس :

إنَّ كل طفل سويّ عندما يبلغ سن التسعة أشهر أو نحوها يبتهج بالثناء والتشجيع ، وهو يزهو بقدرته على اكتساب مهارات جديدة ، وعلى عمل أشياء مُعيَّنة دون مساعدة من جانب الكبار ، ولذا فإنّه يحتاج إلى الحرية حتى يتمكّن من اكتساب الخبرة ، لكنها يجب أن تكون حرية فى حدود النظام والطاعة .

وفى هذا السن أيضًا يبدأ الطفل فى تكرار الأفعال التى يضحك منها الكبار، ثم ينمو معه هذا الميل لجذب الانتباه واستدرار التشجيع حتى يبلغ أربع سنوات ، فهذه التصرُّفات وغيرها تنم عن حاجته إلى الحُبِّ والأمن والتشجيع ، وهى حاجة طبيعية . وعلى ذلك فلا يجب أن يخشى الآباء إفساد أبنائهم بالتشجيع أو إطراء مواهبهم ، فلا مانع من الثناء على ما يرسمه الطفل من لوحات حتى وإن كانت متواضعة المستوى ، وأنْ نستمع باهتمام إلى ما يرويه من قصص وحكايات حتى وإن كانت غير مشوقة ، فإذا لم نفعل ذلك شعر الطفل بخيبة الأمل ، وكف عن عرض إنجازاته علينا .

وبعد بلوغ الطفل سن الثمانية عشر شهرًا يجد متعة فى المشاركة فى الأعمال المنزلية، وفى أداء بعض الأعمال بيديه بعد أن يراقب أمه أثناء أدائها. وكل ذلك يحتاج إلى تشجيع ويحتاج أيضًا إلى مساعدة وخاصّة فى الأيام الأولى . ولكن ما أن يغدو قادرًا على القيام بهذه الأعمال دون مساعدة حتى يكون من واجب الأمّ أن تتركه يفعل كل ما يستطيع بمفرده.

وحينما يبلغ الطفل عامين من عُمره لابدّ أن يُشجع على خلع ملابسه بنفسه وعلى ارتداء جواربه وأحذيته أيضًا ، نعم الطفل فى سن العامين يستغرق وقتًا أطول من طفل الثلاثة أو الأربعة أعوام مثلاً ، ولكنه بذلك إنما يتعوَّد الاستقلال ويكتسب إحساسًا بالأهمية، ويتعلَّم كيفية استخدام يديه ، وكل هذا يمنحه إحساس الثقة بالنفس ، ومن ثمَّ يتهيأ للمهام الكبرى التى ستواجهه فى المستقبل بثقة واطمئنان .

لابدّ أن نعي إذًا أنَّ التشجيع يصنع المعجزات ، وفى حين لا يؤدى الغضب والضيق وتثبيط الهمة إلَّا إلى الإضرار بالطفل ، فمن السهل أن نقول للطفل: "أنت طفل لا فائدة

منك" ، أو نقول له : "إنَّ متاعبك أكثر من نفعك" ، عندها يفقد الطفل إحساسه بالثقة فى النفس ، وبالتالى يُحس أنَّ البيئة الأُسرية لا توفر له حاجته إلى الأمن والاطمئنان .

وننوه بأنَّ الغضب الذى نوجهه للطفل إنما يُفقده الثقة بنفسه وبأمنه واطمئنانه ، فإذا حدث مثلًا أن أسقط الطفل كوبًا من الماء وهو يهم بتناوله ، فالأفضل للآباء والأمهات أن يُقدروا هذا الأمر تقديرًا صحيحًا على أساس أنَّه خطأ غير مقصود من الطفل ، إذ من الخطأ البالغ أن نمنعه من "المساعدة" أو الاعتماد على النفس مستقبلًا ، كما أننا نُخطئ أشدّ الخطأ إذا بالغنا فى القلق تجاهه . كما أن النصح المستمر بالحذر والانتباه لا يُجدى شيئًا . فالطفل يتعوَّد تجاهل هذه التحذيرات المستمرة ، ومن الخطأ أيضًا أن نُحمل الطفل شديد الحساسية مسئولية لا يكون قد تهيأ لحملها ، لأنَّ إخفاقه يؤدى إلى فقدان الثقة بالنفس ، وبالتالى فقدان أمنه واطمئنانه .

• ثالثًا : إشباع حاجة الأطفال إلى التقدير :

نُشير فى البداية إلى أنَّ مفهوم "تقدير الذات" Self – appraisal يعنى تقييم الفرد لذاته ، وآماله وتطلعاته المستقبلية ، ومميزاته ووضعه أو مكانته بين الآخرين . وتقدير الذات مُنظِّم لسلوك الفرد ، كما أنَّه يعتمد على عدة عوامل ، منها : علاقات الفرد بغيره من الناس ، وصدقه مع نفسه ، ونقده لذاته ، وموقفه من نجاحه أو فشله . ويرتبط "تقدير الذات" بشكل وثيق بمستوى التطلُّعات ، أى بمدى صعوبة الأهداف التى رسمها الفرد لنفسه . وعندما لا تتطابق مطالب الشخص مع قدراته الفعلية يؤدى هذا إلى تقدير خاطئ للذات ، وما يترتب عليه من سلوك غير مناسب يتَّسم بالإحباط والتوتُّر والقلق المتزايد .. إلخ .

ويفصح تقدير الذات عن نفسه موضوعيًّا فى كيفية تقدير الفرد لإمكاناته تقديرًا واقعيًّا ، أو فى تقديره لنتائج نشاط الآخرين ، وما إذا كان سيقلل من قدرتهم فى حالة تقديره لذاته تقديرًا مُغالى فيه أو العكس .

أهمية الحاجة إلى التقدير :

الحاجة إلى التقدير والاعتراف بأهمية الفرد The Need For Praise & Recognition هى حاجة يحتاجها كل طفل منذ نعومة أظفاره ، وتتجلى واضحة عندما يشعر الطفل بأنَّه موضع تقدير وقبول واعتراف من الآخرين، لأنَّهم يعاملونه كفردٍ له

أهميته . والطفل فى حاجة إلى أن يُمْتَدَح عند تحقيقه لكل عمل أو نشاط يقوم به ، ممَّا يُكسبه الثقة فى نفسه ، والاعتزاز بشخصيته فيساعده هذا على النجاح والتفوق ، فلاشىء يدفع إلى النجاح سوى الإحساس بثمرته ، فالطفل الذى يجد تقديرًا وتشجيعًا ، تزداد همته فيبذل جهدًا أكبر ليحافظ على ما حققه من إنجازاتٍ ونجاحات .

وتبدو هذه الحاجة واضحة لدى المراهق ، حيث تشغل جانبًا كبيرًا من تفكيره إلى الحد الذى يجعله أحيانًا – حين لا يجد التقدير الكافى فى أُسرته – ينخرط فى جماعات أخرى يجد فى إطارها الدور والمكانة اللتين يرتضيهما لنفسه .

ونجد ذلك أيضًا عند البالغين ، حيث يميل البالغ إلى أن يُثاب على عملٍ أجاده ، أو مشروع أنجزه ، إثابة مادية أو معنوية ، كما هو الحال فى جوائز الدولة التشجيعية أو التقديرية ، أو الحصول على شهادات التقدير ، أو نيل الأوسمة والأنواط .. إلى غير ذلك من أوجه التقدير التى يحتاج إليها الفرد ويسعى إلى تحقيقها .

• الحاجة إلى التقدير .. كيف نكتشفها ؟

يمكن اكتشاف حاجة الأطفال والشباب إلى التقدير من خلال ما نلاحظه من محبتهم لمن يقدرونهم ويثنون عليهم ، ومن خلال تنافسهم مع الآخرين ، كي يحصلوا على ذلك التقدير والثناء ، سواء من الآباء أو الأقارب أو المُعلِّمين ، أو حتى من أقرانهم ممَّن هم فى مثل عُمْرهم .

كما يمكن اكتشاف هذه الحاجة من خلال ما يبذلونه من جهدٍ ليحظوا بهذا التقدير ، فيعملون ويجدون وينشطون فى مجالاتٍ كثيرة كتحصيل دروسهم بمثابرةٍ وتفانٍ ، أو انخراطهم فى أوجه النشاط المختلفة ، وفى محافظتهم على النظام ، كل هذا حتى يلفتوا الأنظار إليهم ، فيحظون بالتقدير الاجتماعي المطلوب .

• التربية الأُسرية .. وإشباع الحاجة إلى التقدير :

للأسرة دور مهم وحيوي فى اكتساب الطفل ثقته بنفسه فى حدود ما يتوافر لديه من قدرات خاصة ومميزات شخصية . على أنَّه يجب ألَّا تبالغ الأسرة فى تقدير قدرات أبنائها حتى لا تنقلب الثقة بالنفس إلى غرور يؤدي بالفرد إلى عدم إدراكه لقدراته الحقيقية ، أو إلى غرور يؤدي إلى التعالي أو الترفع عن الآخرين، فيصبح مكروهًا من زملائه ، منبوذًا

من الناس . هذا وتساعد جرعات الثقة بالنفس المعقولة والمتوازنة التى يتلقاها الفرد خلال تنشئته فى الأسرة إلى رفع مستوى طموحه ، وإلى الاجتهاد والمثابرة فى دراسته ، فينعكس ذلك فى عمله بعد تخرجه ونجاحه كشابٍ فى مقتبل حياته .

ونحن نُحذِّر من اتجاهات بعض الآباء والأمهات التى توجه نحو تأنيب أبنائهم على كل خطأ يرتكبونه ، وإبراز نواحي قصورهم أمام زملائهم ، فإنَّ هذا يُثبط هممهم، ويجعلهم غير قادرين على التفوق . فالطفل أو الشاب الذي يوصم دائمًا بالفشل يتوارى ويخبو تدريجيًّا ، ولا يستطيع أن يقف ليشارك فى رأى أو يتحمَّل مسئولية ، ولذلك فلابد من توجيه سليم يحفظ لكل طفل أو شاب احترامه والاعتراف به .

وهو ما ينسحب بدوره على المدرسة ، فبقدر ما تعمل المدرسة على إشباع هذه الحاجة لدى تلاميذها بقدر ما يتقدمون فى الإنجاز ، ويتقبلون توجيهات مُعلِّميهم ويتبعون إرشاداتهم .

• المنافسة : وإشباع الحاجة إلى التقدير :

يمكن استغلال التنافس كعامل مُنشط وكدافع للإنجاز ، وقد أوضحت كثير من الدراسات أنَّه يمكن استغلال التنافس كعامل يدفع الأطفال والشباب إلى مزيدٍ من الإنجاز فى شتى المجالات . وإذا كنا نُحذِّر من المبالغة فى إثارة هذه المنافسة ، فلأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية ، مثل إثارة مشاعر الغيرة والحقد والقلق . ولذلك ينبغي ونحن نطبق هذا العامل – سواء فى الأسرة أو المدرسة أو النادي أو أية مؤسسة أُخرى – أن نُراعى هذه القواعد التربوية:

1 - الاستخدام غير الواعي لهذا العامل قد يُشيع بين أفراد الأسرة أو الجماعة جوًّا من الغيرة والحقد والبغضاء ، ومن ثمَّ يكون التنافس فى هذه الحالة عاملًا مثبطًا ، علاوة على التوتُّر الذى تنعكس آثاره على كل الأنشطة ، لذلك ينبغى أن ننقل إلى أطفالنا وشبابنا أنَّهم متفاوتون فى القدرات والاستعدادات ، وأنَّ كلًّا منهم يستطيع أن يُحقق وينجز فى بعض المجالات دون الأخرى ، وأنَّ المجال الذى يتفوق فيه فرد قد لا يتفوق فيه آخر . ولذلك على الأبناء أن يبذلوا كل جهدهم في الأداء ، على أن يتقبلوا النتائج بكل الرضا لأنَّها تعكس مجهودهم وقدراتهم ، ويمكنهم أن يحللوا النتائج التى توصلوا إليها بمساعدة الآباء والمُعلِّمين حتى يتعرفوا على القوة ونواحي الضعف ، فيعملوا على معالجة

نقاط الضعف ، وتنمية نقاط ألقوة ، وبذلك يكون جهدهم جهدًا واعيًا مستبصرًا يؤدى إلى التقدُّم فى كل المجالات . وعلى الآباء والمربين أن يحافظوا على سلامة العلاقات بين الأبناء ، فلا نجعل أحدًا منهم يشعر بالغيرة أو الحقد نحو مَنْ سبقوه ، أو يشعر بالاستعلاء والتفاخر نحو من سبقهم ، وأن يعملوا على نقل روح الرياضة من الملعب إلى البيت أو المدرسة فى تقبُّل النصر أو الهزيمة ، حتى يفهموا أنَّ التنافس الصحيح إنما هو عامل حفز وليس عامل هدم .

2 - بعض الأطفال أوالشباب يخشون مواقف التنافس لعوامل تربوية فى تنشئتهم وإذا اضطروا إلى ذلك انخفض مستوى أدائهم بصورة كبيرة ، ونراهم يتحاشون المواقف التى تتضمَّن تنافسًا مُعلنًا ، ويفضلون العمل بعيدًا عن كل ما من شأنه أن يجعل هناك مقارنة بين أدائهم وأداء الآخرين ، مع رغبتهم اللَّا شعورية الشديدة فى التفوق وبزّ الأقران ، وهؤلاء الأطفال أو الشباب غالبًا ما يُعانون من عقدة النقص وإحساس دفين بالدونية . وخوفهم من التنافس يرجع لسابق خبراتهم غير السارة فى مثل هذه المواقف، ولأنَّهم تعرضوا للمقارنة عندما كانت فى غير صالحهم . وهم يحجمون عن الدخول فى مواقف التنافس، لأنَّ احتمال عدم الفوز فيها – وهو احتمال وارد فى ظل الثقة المُفتقدة – يذكرهم بالإذلال والمرارة السابقة . ولذلك ، فإنَّ هؤلاء الأطفال أو الشباب يكوِّنون مفهومًا غير دقيق ، وغير صحي للمنافسة ، وعلى الآباء والمُعلِّمين أن يصححوا لهم هذا المفهوم ، ويتم هذا التصحيح فى إطار مساعدتهم على بناء ثقتهم بأنفسهم .

3 - إذا كان البعض يخشى الدخول فى مواقف التنافس ، فإنَّ البعض الآخر يتحمَّس لهذه المواقف على أساس غير صحي . والرغبة فى التنافس عند البعض تخفى وراءها شعورًا عدوانيًّا تجاه المنافسين ، ويُعدّ الفوز أو التفوق فى هذه الحال إشباعًا للدوافع العدوانية لديهم ، كما أن الهزيمة أو التخلُّف تدفعهم إلى الرغبة فى الانتقام والشعور بالمشاعر السلبية تجاه المنافسين المتفوقين . هؤلاء الأطفال أو الشباب أيضاً يُكونون مفهومًا غير صحيح للتنافس فى ظلّ التربية الخاطئة . فكثير من الآباء يتخذون أبناءهم وسيلة لتحقيق مطامحهم التى فشلوا هم فى تحقيقها بأنفسهم ، ومن ثمَّ يطالبون أبناءهم دائمًا بمستويات عالية من الإنجاز والتحصيل ، ويدفعونهم إلى المنافسة الشرسة تحقيقًا للفوز وإحراز التفوق ، مهما كان الثمن ، متجاهلين إمكانات الأبناء العقلية والجسمية وظروفهم المُحيطة بهم. ومَن تُسعفه قدراته من الأبناء على التفوق يُرحب

بهذا التنافس باعتبار التفوق على المنافسين الوسيلة المُحققة لمطالب الآباء الخاصة . وأمَّا مَنْ لم تُسعفه قدراته ، فإنَّه يتعرَّض لضغوط شديدة مُتعدِّدة المصادر تؤدى به فى كثير من الأحيان إلى المشكلات السلوكية والنفسيَّة . إذًا فالأبناء الذين يتخذون من مواقف التنافس وسيلة لتحقيق عدوانيتهم تجاه الآخرين ، هم أبناء لآباء يريدون لهم التفوق بأى ثمن ، ولو على حساب علاقات الأبناء بزملائهم .

وعلى المربين أن يفهموا الدوافع التى تحرك هذه الفئة وأن يصححوا لهم مفهومهم الخاطئ وغير الصحي عن التنافس ، وأن يتيحوا لهم أنواعًا أخرى من العلاقات البنائية قوامها التفاهم والعطاء المتبادل والود ، وأن يجعلهم يدركون أنَّه باستطاعتهم – من خلال هذه العلاقات – تحقيق ما هو أكثر ممَّا يمكن تحقيقه من خلال التنافس العدائي ، وأنَّ تحقيق الإنجاز ليس بالضرورة على حساب العلاقات السوية مع الآخرين ، وأن التعاون والعلاقات الودية لا تتعارض مع الحافز الفردي للنجاح والتفوق ، وبذلك يستقر لديهم المفهوم الصحيح للتنافس كعامل للبناء وليس للهدم .

• رابعًا : إشباع حاجة الأطفال إلى المشاركة واحترام الذات :

يحتاج الأبناء إلى أن يشعروا باحترام ذواتهم ، وأنَّهم جديرون بالتقدير والاعتزاز. وهم يسعون دائمًا للحصول على المكانة المرموقة التى تعزز ذواتهم وتؤكِّد أهميتهم ، لذلك فهم فى حاجة إلى عمل الأشياء التى تبرز ذواتهم ، وإلى استخدام قدراتهم وإمكاناتهم استخدامًا بناءً . إنَّ النموّ السَّوي للذات وتنمية مفهوم صحي إيجابى لها يحتاج إلى إشباع هذه الحاجة المهمة والمُلِحَّة .

بدايات ظهور الحاجة إلى المشاركة واحترام الذات :

الطفل منذ الشهر التاسع من عُمره يقضي معظم أوقات يقظته فى تلقي شتى ضروب التفهُّم لما يفعله ، وهنا يبدأ إحساسه بالحكم الواعي مع نفسه ، وخصوصًا إذا وجد أنَّ كثيرًا من أعماله أو أفعاله تلقى المديح والثناء . والجدير بالذكر أنَّ الطفل عندما يبلغ شهره العاشر يبدأ فى عملية الحَبو ، فإذا بلغ شهره الحادي عشر نراه يمشى بمساعدة الغير ، ثم يقف مستندًا إلى الأثاث ، أمَّا عند بلوغه أربعة عشر شهرًا ، فإنَّه يستطيع أن يقف وحده ، ثم بعد ذلك بشهر واحد تقريبًا يستطيع المشى وحده ، ولذلك عندما تحدث هذه التطورات الحركية للطفل، لابدّ من أن ينال من والديه الثناء والتشجيع ، والطفل يحتاج إلى ذلك

لأننا نراه يكرر هذه الأنشطة مرارًا وتكرارًا ، وكأنَّه يُطالب بالمديح والمكافأة. والطفل الذى ينال الاستحسان والتشجيع يبدأ فى تكوين اتجاهات إيجابية نحو الإنجاز والتعلُّم ، وبالتالى تزداد ثقته بنفسه ، فيقدرها ويحترمها .

وهناك بعض الأطفال الذين ينشأون فى جوّ أسري يقابل ما يفعلونه بالإهمال وعدم الاكتراث ، وبالتالي يتلاشى لديهم الدافع للإنجاز ، لأنَّ هذا الدافع يُحْبَطُ نتيجة عدم المشاركة أو المكافأة . وبذلك يمكننا القول بأنَّه لا شيء يقضي على القدرة الابتكارية لدى الطفل سوى إهماله وعدم تشجيعه ، ولا يُضعف من شخصيته ويقتل ثقته بنفسه قدر النشأة الأُسرية السلبية التى لا تُمكِّنه من الاقتناع بقدراته وإمكاناته على إتمام أعماله وتشجيعه عليها وامتداحها .

إنَّ الأطفال يُربَّون تربية صحيحة بفضل العلاقات الصحيَّة بينهم وبين والديهم ، فهم حينما يحتاجون التعزيز يجدونه ، فإنَّ نموَّهم – بلاشك – يسير فى اتجاه سوى . أمَّا هؤلاء الأطفال الذين يواجهون دائمًا مواقف الفشل والتثبيط واليأس ، فهم معرَّضون لفقدان الشعور باحترام الذات وقيمتها ، وعدم الرضا على ما يبذلونه من جهودٍ ، ممَّا يؤثِّر بالسلب على صحَّتهم النفسيَّة .

كيف نكتشف حاجة الأطفال إلى المشاركة واحترام الذات!

المتأمل للواقع يُدهشه أن يكتشف كَمّ الضغوط النفسيَّة التى تُفرض على أبنائنا صغارًا وكبارًا ، تلك الضغوط التى تفسرها تكرار كلمات : "لاتفعل" ، "لا تتصرَّف" ، تكرارًا آليًّا مملًّا . عندها يشعر الأبناء بفقدهم الحرية ، لأنَّهم يُصبون فى قوالب جامدة مُعدة لهم سلفًا ، إنَّهم يجبرون على التصرُّف بشكل مُعيَّن ، فالآباء أو المربون هم الذين يحددون لهم ما يجب أن يفعلوه ،ومالايجب أن يفعلوه على وجه الدقة والتحديد . وبالتالى يحسون أن حياتهم تسير كما يبغى لها الكبار ، لا كما يبغون هم ، فيفقدهم احترامهم لذواتهم .

والأطفال الصغار – كالكبار البالغين – تحدوهم الرَّغبة الأكيدة فى أن تتم مشاركتهم فيما يُخطَّط لهم ، وقد يتمسكون بأداء أعمال مُعيَّنة يقومون هم بتخطيطها وإعدادها لا الكبار البالغون . وهذا ما يُفسِّر تمرُّدهم أو عصيانهم لوالديهم أو إخوتهم أو مُعلِّميهم أو حتى أصدقائهم ، إنَّها الرَّغبة في أن يكون لهم صوت مسموع .

ويُلاحظ على الطفل الذى يرغب في المشاركة وكأنَّه متقوقع ، منعزل عن الآخرين . وهو لا يسمح لنفسه أن يُقْصَى عن مهامه أو أعماله التى يقوم بها لكى يأخذ غيره مكانه . وقد نجده يلعب مع أطفال أصغر منه سنًّا . وبعض الأطفال إذا ما رفضتهم الجماعة ، فقد ينسحبون ويتصرَّفون وكأنَّهم لا يهتمون بأنشطة هذه الجماعة ، أو لا يبالون بأفرادها . أمَّا البعض الآخر ، فإنَّ إنسحابهم يصحبه بكاء وعويل إلى حد التشنُّج ، وهناك أطفال من نوع ثالث لا ينسحبون من الجماعة بسهولة ، فهم يقاومون هذا الرفض من جانبها بكل ما أوتوا من قوةٍ ، وبكل ما لديهم من وسائل .

والطفل الذى يحتاج إلى المشاركة واحترام الذات قد يقاطع الآخرين وهم يتحدثون، خاصّة إذا لم يُطلب إليه أن يتحدث . إنَّ هذا النوع من الأطفال يفرض زعامته أو سلطته على الجماعة ، كما يُريد أن ينفرد بالرأى ويستأثر به وحده ، وعادةً لا يطيعون الأوامر أو التعليمات .

هذا .. ويخطئ كثير من الآباء والمربين إذا ما حاولوا الانتقاص من اعتزاز الطفل أو الناشئ بشخصيته ، ولذلك نحن ننبه إلى ضرورة الابتعاد عن مثل هذه العبارات التى تنتقص من مشاعرهم وتجعلهم يفقدون الاعتزاز بذاتيتهم، مثل : "أنت لا تعرف شيئًا.. لأنك مازلت صغيرًا" ، "أنت ليس لديك أى إدراك" ، "كل الذى تفعله خطأ .. إليك الطريقة الصحيحة" ، "يمكنك أن تنسحب" ، "دعنا نفعل لك ذلك" ، "أنت طفل غبي يعوزك الكثير" .

إننا إذا أجبرنا الطفل على مزاولة الأنشطة التى خططها له الكبار دون علمه أوإشراكه ، أو عندما نحرمه من التعبير عن آرائه أو لا نتيح له الفرص لإصلاح أخطائه التى قد يقع فيها ، أو لا نسمح للطفل الخجول بالمشاركة فى الأنشطة الجماعية ، فإننا نحرم مثل هؤلاء الأطفال من امتيازاتهم ، ونزيد من حاجاتهم إلى المشاركة واحترامهم لذواتهم .

لقد أثبتت الدراسات التربوية والنفسيَّة أنَّ الطفل الذى يحتاج إلى المشاركة واحترام الذات ، دائمًا ما يشعر بأن هناك مؤامرات تُحاك ضدّه ، ومن ثمَّ لديه عقدة الاضطهاد، أو أن أفكاره وآراءه ليست ذات قيمة ، وبالتالى يحس بأنَّه لا فائدة تُرجى منه شخصيًّا ، عندها تسوء صحَّته النفسيَّة وتتدهور .

كيف نشبع حاجة الأطفال إلى المشاركة واحترام الذات ؟

- أن يُشارك الأبناءَ كلٌّ من الآباء أو المربين حال تقويم أعمالهم وأنشطتهم ، وأن يصغوا إليهم باهتمام وأن يُظهروا لهم إعجابهم أو موافقتهم إذا كانت أعمالهم جيدة ، أمَّا إذا كانت لديهم ملاحظات أو مآخذ ، فعليهم أن يذكروا أسبابها حتى لا يشعر الأبناء بالإحباط أو اليأس .
- أن يُشجع الآباء والأمهات أبناءهم على تحمُّل المسئولية منذ صغرهم ، وهذا يستلزم أن تكون هذه المسئوليات الملقاة على عاتقهم تتناسب وأعمارهم الزمنية والعقلية ، وتتفق مع ميولهم وتطلعاتهم ، وأن تتسم بالتدرُّج ، وخاضعة لإشراف الأبوين إشرافًا دقيقًا، وتربويًّا فى الوقت نفسه ، على أن يُمنح الأبناء الثناء والمديح متى نجحوا فى أداء مهامهم ، وأن يُشجَّعوا ببث الثقة فى نفوسهم من جديد متى أخفقوا .
- أن يُشارك الأبناء فى تخطيط ما يقومون به من أعمال بجانب آبائهم أو مُعلِّميهم .
- السماح لجميع الأبناء بالحديث عن آرائهم أو وجهات نظرهم حال اتخاذ أى قرار يهم الجماعة ، لأنَّها طريقة تنم عن إظهار الاحترام للجميع دون استثناء.
- الابتعاد عن كل ما يجعل الأبناء يحسون بأننا لا نثق بهم ، كأن تتم مراجعتهم باستمرار فيما يفعلونه من استذكار أوأنشطة ، كما ينبغى الابتعاد عن كل الأساليب التى تقلل من شأنهم ، وتُفقدهم احترامهم لأنفسهم .

• خامساً : إشباع حاجة الأطفال إلى حُبّ الاستطلاع :

الحاجة إلى الاستطلاع والفضول هى حاجة تجعل الفرد يستطلع الأشياء ، أو يتفحص المواقف ، فيختبرها أو يسأل عنها ، وهى حاجة مشتركة بين الإنسان والحيوان . فقد دلت التجارب على أن الحيوانات حين توضع فى أماكن جديده فإنَّها تأخذ فى استطلاع أنحاء الأماكن ، والبحث فى أرجائها ، حتى إن لم تكن جائعة أو ظامئة ، والصيادون يستغلون هذه الحاجة أو هذا الدافع فى صيد الحيوانات ، إذ يحضرون شيئًا غريبًا يدعو الحيوان إلى الاقتراب منه لاستطلاعه أو لكشف أسراره ، فيسهل عليهم اقتناصه .

هذا وقد دلَّت التجارب التى أُجريت على الحيوانات والأطفال علىأنَّ حُبَّ الاستطلاع حاجة أو دافع غريزى فى الطبيعة البيولوجية للكائن الحي ، تدفعه إلى فحص البيئة ،

والتعرُّف عليها لمعرفة الأشياء التى يُحتمل أن تكون مصدرًا للخطر أو للألم ، أو تلك التى يُحتمل أن تشبع حاجاته قبل أن تنشط ، فتُسبِّب له نوعًا من الارتياح .

• كيف يمكن ملاحظة حاجة الطفل إلى حُبّ الاستطلاع ؟

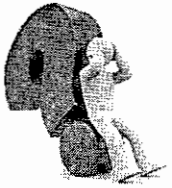

كثيراً ما نرى الطفل يتطلَّع إلى الأشياء بعينيه ويتتبعها ، والطفل يُحاول بهذا السلوك أن يتعرَّف على كل شىء جديد فى بيئته، ويحاول أن يختبره . كما أن لعب الطفل المبكر وتناوله لكل ما يقع تحت بصره أو يديه ، وبحثه هنا وهناك ، وتنقيبه عمَّا حوله ، ليس فى الواقع إلَّا إشباعًا لحاجته إلى حُبِّ الاستطلاع أو الفضول ، ورغبته فى اكتشاف المعاني والدلالات لما حوله ، واكتسابه كذلك للمعارف أو المهارات الأساسي اللازمة لحياته . ويرى "وليام مكدوجل" أن الذى يجعل الطفل يعبث فيما حوله من أشياء هو حُبّ الاستطلاع . كما أن الطفل يكتسب معلوماته ، وتنمو معارفه عن طريق خبراته التى يُمارسها بنفسه ، سواء عن طريق استعمال عضلاته المختلفة ، أو عن طريق حواسه المختلفة التى تُعتبر أبواب المعرفة بالنسبة للطفل .

ويتجلَّى هذا الميل إلى الاستطلاع أو الفضول فى تلك الأسئلة التى يوجهها الطفل إلى والديه أو مُعلِّميه أو مَنْ يحيطون به ، عن الأشياء .. أسمائها وفوائدها ، أو عن الحوادث .. أسبابها ومضارها .. ومن هذه الأسئلة ما يدور حول الأمور الجنسيَّة ، أو حول أمور غيبية ، تُسبِّب لوالديه كثيراً من الحرج والحيرة ، ثم تظهر لدى الطفل هذه الحاجة بعد ذلك فى ميوله إلى القراءة أو إلى الرحلات أو المغامرات ، ويستمر نموّ دافع الاستطلاع عند الطفل إلَّا إذا صادف من البيئة - آباء ومربين - ما يكبحه أو يُحبطه ، فإن لقى منهم مساندةً وتشجيعًا ، ومن الظروف ما يُساعده على إعلائه لهذه الحاجة، لأصبح هذا هو الأساس نحو التجريب والابتكار والإبداع .

وهكذا نجد أنَّ الحاجة إلى المعرفة من الحاجات المهمة لدى الطفل ، وعلى الأخص عند محاولته التعرُّف على البيئة ، بحيث يمكن عن طريق ذلك تنمية ما لدى الطفل من إمكانات وقدرات ، ولذلك فإن إشباع هذه الحاجة من العوامل التى يجب أن يهتم بها الآباء والمربون فى تربية أبنائهم .

وهكذا تستطيع التربية أن تستغل الحاجة إلى البحث والاستطلاع عند الطفل من أجل نموّه العقلي والمعرفي ، وأن توجه رغبته فى استكشاف ألوان مُتعدِّدة من الثقافة ، وأن تُشجعه على الاستفسار ، وأن تتركه يسمع ويرى ويتذوق ويشم ويحس ويفك ويركب .. إلخ .

• مراحل تطور الحاجة إلى حُبّ الاستطلاع عند الطفل :

مرحلة الرضاعة (من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية) :

تنمو حاجة الطفل إلى الاستطلاع أو الفضول مع بداية الشهر السابع تقريبًا، فهو يستطلع بعينية ، ويُمعن النظر فى الأشياء ، ثم يحاول القبض عليها ووضعها فى فمه ، وهو يتتبع الأشياء التى تتحرَّك من حوله بشغف . كل هذه أنواع بسيطة من دافع الاستطلاع لدى الطفل ، حتى إذا ما وصل لسن الثانية واستطاع المشى واتسع عالمه امتدت يداه إلى كل ما يستطيع تناوله . فهو يعبث بأى شىء وقد يُدمره ،أو يُمزق بعض الأوراق المهمة ، أو يسكب الطعام على الأرض . وقد يفك ما يعثر عليه من أدوات ليرى مم تتكوَّن ؟ قد يشدّ ذيل القطة ليرى ماذا تصنع ؟ وقد يُحطم المرآة ليرى ما بداخلها !! وقد يحاول كسر إحدى لُعبه بدافع الاستطلاع والفضول لا بدافع التدمير كما يُظن ، وكل هذه الأمور تثير غضب الوالدين وتدفعهما لمعاقبة الطفل إمَّا بالضرب أو اللوم أو التوبيخ . وتكون النتيجة أن يكف الطفل عن هذه الأفعال ، ولكن لفترة قصيرة بعدها ينسى كل شىء ، فيعود إلى العبث من جديد .

مرحلة الطفولة المبكرة (من عامين إلى ستة أعوام) :

فى هذه المرحلة يُريد الطفل أن يكتشف كل ما يقع فى متناول يده ، أو يقع تحت سمعه وبصره أيضًا ، وهو لا يستمر فى وضع الأشياء فى فمه ، ولكن يلمسها ويفحصها أيضًا ، ويسأل عنها مرَّات عديدة متكررة ، وهو يحتاج إلى بعض الوقت للنظر إلى الأشياء من حوله والتى يشعر باهتمام نحوها ، سواء أكانت فى شكل صور أو فى الحياة الواقعية. وغالبًا ما يتعجله الكبار ، والأفضل عدم لفت نظره إلى الأشياء باستمرار لأنَّ هذا غالبًا ما يُشتت ذهنه، ويفضل إعطاءه فرصة لرؤيتها بنفسه حتى يمكنه أن ينظر ويسأل أسئلته الخاصة .

وعندما يصل الطفل إلى المرحلة التى يسأل فيها أسئلة مثل : ما هذا ؟ كيف يعمل هذا القطار ؟ لماذا لا تسير العربة ؟ .. إلخ ، فإن الكبار قد يجدون أنفسهم مشغولين بأشياء أُخرى ، فلا يعيرون أسئلته التفاتًا ، وإن كنا نفضِّل أن يُشجع الآباء والمربون حُبّ الاستطلاع

لدى أطفالهم ، وأن يحفِّزوهم على حُبِّ البحث والتجريب. مع العلم بأن الأطفال يتعلَّمون كثيرًا فى هذه السِّن عن طريق الخبرات البسيطة ، فتسلُّق قارب صغير فى عرض البحر، أو الذهاب إلى المزرعة لرؤية الحيوانات والطيور ، أو زيارة أحد المصانع وهو يعمل أو يُنتج، كل هذه ثروة من الخبرات يستطيع الطفل الصغير عن طريقها التعرُّف على البيئة المُحيطة به .

عمومًا .. نستطيع القول بأنَّه كلما كان الآباء والمربون على استعداد للإجابة على أسئلة أطفالهم وتهئية الفرص لهم للكشف عن الأشياء بأنفسهم ، فإنّهم سوف يدهشون لمدى قدرة أبنائهم على تعلُّم كثير من الخبرات التى قد تُعينهم فى مستقبل حياتهم .

مرحلة الطفولة المتوسطة (من ستة إلى تسعة أعوام):

تتميَّز هذه المرحلة بنموّ الجانب المعرفى للطفل ، لذا فهو فى حاجة إلى مزيد من الفهم والإدراك والتحصيل ، فهو يسعى لاستكشاف كل مجهول ، وخاصة فى البيئة المُحيطة به . والطفل فى هذه المرحلة يصبح قادرًا على اتخاذ الأساليب السلوكية السليمة التى لا تلحق به الضرر حال إقدامه على الاستكشاف، كما يبحث وراء كل جديد لمعرفته . وإشباع هذه الحاجة يُزيد من رصيد الخبرات الحياتية لدى الطفل ، وهى خبرات بدورها تُسهم فى مدى نموّه العقلى ، فضلًا عن تزويده بالمعارف الجديدة ، ويصل الطفل عن طريق إشباع حاجاته إلى المعرفة إلى مستوى من حُسن التصرُّف إزاء مواقف حياته الجديدة، وهو ما يُكسبه ثقة بقدراته العقلية والفكرية ، لأنَّه استطاع أن يستخدمها استخدامًا يؤدى إلى النجاح ، فضلًا عن أنَّه كلَّما زاد مُعدل المعرفة لدى الطفل أدى ذلك إلى نموّ إدراكه الحسي الذى يُسهم فى نضج قدراته العقلية . لذلك وجب على الوالدين والمربين ضرورة الاهتمام بإشباع حاجة الطفل إلى الاستطلاع والمعرفة والتحصيل ، عن طريق إجابة أسئلته التى يطرحها عليهم بحيث تكون إجابات سليمة ومقنعة ، وإتاحة الفرص له للاشتراك فى الرحلات العلمية ، وتنمية ميوله إلى القراءة والاطلاع ، وإكسابه مهارات عقلية حسابية كالجمع والطرح .. إلخ ، فضلًا عن الاهتمام البالغ باللغة ورموزها ، بحيث يستطيع أن يتقن الطفل دلالة الرموز ومعانى الكلمات .

• وسائل إشباع حاجة الطفل إلى حُبّ الاستطلاع :

1 - خلق الجوّ الملائم لإشباع هذه الحاجة إلى حُبّ الاستطلاع :

يتحتم علينا – آباء ومربين – أن نخلق لأبنائنا الجوّ المناسب لإشباع حاجاتهم إلى حبّ الاستطلاع والفضول ، وأن نُحقق رغبتهم فى استكشاف كل ما يُحيط بهم آخذين بعين الاعتبار ، ما يلى :

- أولًا : تأمين شروط السلامة من حيث إبعاد جميع مصادر الخطر عن طريق أطفالنا، مثل : منابع الحرارة والكهرباء والنار وأعواد الثقاب والأدوية والعقاقير الكيميائية والمبيدات الحشرية .. إلخ ، وإبعادهم كذلك عن الأماكن التى قد يسقطون منها ، كذلك إبعادهم عن الحيوانات المؤذية أو ناقلة العدو والأمراض .
- ثانيًا : إعطاء الطفل ما يشغله بالبحث والتجريب والاستكشاف ، لأنَّ الضجر يولّد السلوك المشاغب الذى يمكننا تجنُّبه بخلق الجو المناسب للطفل أينما كان ، وذلك عن طريق توفير الألعاب المختلفة والمتنوعة مثل : الدُمَّى والعربات والقطارات، والخروج من المنزل لمدة ساعة يوميًّا على الأقل للتنزه وترك الطفل يقفز ويركض ويعدو ، كما يجب مشاركته فى بعض الألعاب الرياضية التى يستمتع بها كثيرًا .

2 - تشجيع مبدأ النشاط الذاتي :

مبدأ النشاط الذاتي من المبادئ المهمة التى أكدها علم النفس أساسًا لعملية التعلُّم ، فلكى تتم هذه العملية على أحسن صورة لابدّ من أن يبذل المُتعلِّم نشاطًا من جانبه ، هذا النشاط هو ما يُطلق عليه النشاط الذاتي ، أى النشاط الذى يصدر عن المُتعلِّم نفسه ، وبهذا يمكن أن يُشبع نهمه إلى المعرفة . وتساهم كل من الأسرة والمدرسة فى تدعيم هذا المبدأ من خلال تعليم الأطفال اكتساب المعارف المختلفة ، والخبرات المتباينة ، ونؤكّد أنَّ استخدام أسلوب التلقين فى المنزل والمدرسة بوصفه الطريق الأساسي والوحيد الذى يطل منه الطفل على عالم المعرفة وإهمال أسلوب النشاط الذاتى ، يترتب عليه تخريج شخصيات هامشية مُغلقة ، لا تستطيع استقبال شتى أنواع المعرفة أو استيعابها أو هضمها.

3 - تنويع المثيرات :

توافر مثيرات متنوعة أمام الطفل يُتيح له – بلاشك – فرصًا مُتعدِّدة لإظهار

الدهشة والتعجب والتساؤل والملاحظة والبحث والاختيار والفحص والتجريب والتفكير ، ويتم ذلك عن طريق :

- أولًا : توجيه أنشطة الطفل إلى المواد أو الأدوات التى يمكنه أن يستخدمها ، وهى : اللُّعب والدُّمى والكتب المصورة ، والخرائط المُجسمة ، والكرات الأرضية ، والجداول الرياضية ، وأدوات المهن المختلفة كأدوات الطبيب مثلًا أو أدوات النجارة ، ومع توفير الفرص أمام الأطفال لممارسة اللَّعب الحرّ ، لكى يكتسبوا ثقافة مجتمعهم وخبرات بيئتهم المتنوعة .
- ثانيًا : توجيه الطفل إلى المثيرات الطبيعية والتى نعتبرها كتاب الحياة المفتوح أمام الأطفال ، فعن طريق هذه المثيرات الطبيعية يمكننا أن نلفت نظر أبنائنا إلى ظاهرة اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الفصول الأربعة ، وتنوع الطيور والحيوانات .. إلخ .
- ثالثًا : بيئة الطفل المحلية بمختلف مؤسساتها وهيئاتها ، يمكن اعتبارها مجالًا للمثيرات والخبرات اللازمة لنموّ الطفل وإشباع حاجاته إلى حُبِّ الاستطلاع والبحث والمعرفة : فدور العبادة من مساجد وكنائس ، والملاعب والمنشآت الرياضية ، والنوادى، والسينما ، والمسرح ، ومكاتب البريد ، والمستشفيات ، والوحدات الصحيَّة ، والمصانع، والمزارع ، والحدائق ، والإذاعة والتلفزيون ، والصحف ، والمجلات ، يمكن أن تكون مجالات لا حصر لها ، تُساعد على نموّه وارتقائه .

وبقدر ما نُقدِّم للطفل من مثيرات بقدر ما نساهم فى تكوين شخصيته وثقافته، لذلك نؤكِّد على أن الطفل بحاجة إلى هذه المثيرات ، حتى يشبع حاجته إلى الاستطلاع أو الفضول ، ولاشك فإن حرمان الطفل من هذه المثيرات يُعد حرماناً من كافة العوامل التى تعمل على تثقيفه ونموّه ، وحرمانه أيضًا من استثارة حواسه المختلفة وكَفِّها عن أداء وظائفها ، وهذا ما نُحذر منه .

هذا .. وقد أثبتت عديد من الدراسات النفسيَّة والتربويَّة أن بيئة الطفل الغنية بالمثيرات المتنوعة تُساعد على نموّه نموًّا متكاملًا ، وتُسهم فى تدعيم شخصيته وإثراء ثقافته .

4 - الانطلاق نحو آفاق البيئة الرحبة :

نستطيع أن نوّجه حُبّ الأطفال والناشئة للاستطلاع والمعرفة ، من خلال إكسابهم

ثقافة مجتمعهم الذى يعيشون بكنفه ، وذلك بالانطلاق نحوَ آفاق البيئة الرحبة التى تتمثَّل فى تلك الأنشطة المقترحة :

- أولًا : اصطحاب الطفل فى نزهات أو جولات أو رحلات ، بحيث يتمكَّن من الجري والقفز والتسلُّق فى حرية وحيوية ونشاط ، بعيدًا عن القيود الحياتية الصارمة ، على أن يكون الهدف من هذه الأنشطة : زيادة حصيلة الطفل من الخبرات الجديدة ، وتزويده بالمفاهيم العلمية الصحيحة ، كما يمكن أن تكون هذه الأنشطة أداة لتعويده العادات الصحيّة والاجتماعيَّة السليمة كعدم قطف الأزهار. كما يمكن اصطحاب الطفل إلى أحد الحقول القريبة أو المزارع لرؤية أعمال الفلاح المتنوعة كتمهيده للتربة وبَذر البذور فيها ، ثم ريها .. إلخ ، ولا مانع أيضًا من اصطحابه لحظائر الحيوانات أو الطيور لرؤية حياتها على الطبيعة ، أو اصطحابه مثلًا إلى أماكن تربية النحل ، أو عنابر إنتاج الكتاكيت وغيرها.
- ثانيًا : اصطحاب الطفل إلى الشواطئ حيث يلهو ويمرح على الرمال ، ويُشاهد الرحلات المختلفة لصيد الأسماك التى يقوم بها الصيادون ، والتعرُّف على الحياة فى البيئة الساحلية كأهم الصناعات القائمة بها ، وطبيعة مساكنهم ، وأنواع الثياب التى يرتدونها ، وعادتهم وتقاليدهم .. إلخ ، كل هذا يُساعد الطفل على اكتساب خبرات جديدة .
- ثالثًا : اصطحاب الطفل فى زيارة لإحدى حدائق الحيوانات ، حيث يتعلَّم معارف جديدة ، منها : التعرُّف على أنواع الطيور والحيوانات ، وأحجامها ، وألوانها ، والبيئات التى كانت تعيش فيها ، وماذا تأكل من طعام.. إلخ
- رابعًا : يمكن عن طريق الرحلات إلى المتاحف المختلفة والآثار التاريخية أن يتعلَّم الطفل كثيرًا من الخبرات والمعارف عن تاريخ بلاده وحضارتها ومالها من امتيازات ، كما يتعلَّم تقديره للقيم الفنية والجمالية ، وتعويده المحافظة على آثار بلاده وحمايتها من كل عابثٍ أو مُخرِّب ، فينمو الطفل عاشقًا لتراث بلاده.
- خامسًا : يمكن للطفل أن يندمج مع البيئة اندماجًا قويًّا من خلال مشاركته فى المناسبات الاجتماعيَّة ، لتعريفه بنظم العلاقات التى تربط بين الناس من مراسم أو طقوس ، كحضوره الحفلات التى تُقام بمناسبة الزواج أو عقد القران، وأعياد الميلاد،

وسبوع المولود ، ومن خلال مشاركته أيضًا فى الأعياد الوطنية والقومية كذكرى ثورة الثالث والعشرين من يوليو ، أو انتصار السادس من أكتوبر . علاوة على مشاركته فى الاحتفالات الدينية المختلفة ، وما يُصاحب هذه الأعياد أو المناسبات من مشاعر ، وكيفية الاحتفال بها ، وماذا يرتدى الناس ، وماذا يأكلون ؟ والهدف من ذلك هو توسيع بيئة الطفل وإثراء معارفه خلال مروره بالأحداث أو المناسبات الدينية والاجتماعيَّة والقومية والتاريخية ، ممَّا يُساعد على نضجه وانفتاحه على ثقافة مجتمعه وتشرُّبها .

5 - **استخدام خامات البيئة :**

يمكن أن نستخدم كثيرًا من خامات البيئة فى أوجه نشاط الطفل المختلفة بما يُثرى خبراته وثقافته ، وإشباع حاجاته إلى الاستطلاع والمعرفة ، فيمكن استخدام مخلفات البيئة كالفوارغ أو بقايا الجلود أو ريش الطيور وغيرها ، هذه الخامات يمكن أن يستغلها الطفل ويفيد منها فيشبع حاجته إلى الاستطلاع والمعرفة.

كما يلزم من جانبنا أن نُقدِّم للطفل خامات البيئة المُتعدِّدة والمتنوعة لاستخدامها بما يرقى بخبراته ومهارته . ونذكر منها ، على سبيل المثال : الصلصال ، والورق المقوى ، والألوان المائية أو الفلوماستر ، والحبال ، وحبات الخرز الملون ، والخيوط ، والقطن ، وريش الطيور ، والقواقع البحرية ، والمسامير ، وعلب الكارتون الفارغة مختلفة الأشكال والأحجام والألوان ، والمقصات ، والأصماغ ، والأقمشة ، وعلب البلاستيك الفارغة ، والطلاء ، والصابون ، والكتب ، والقصص المصورة ، والعرائس المتحركة ، والدُّمى ، وملابس العرائس ، وأثاثات منازل صغيرة ، وصندوق يحتوى على أدوات المهن المختلفة مثل : أدوات النجارة (المنشار ، والفارة ، والقدُّوم ، والمسامير) ، وألعاب تُمثِّل محلات تُجارية ، مثل : محل بائع فاكهة (فواكه وخضراوات مصنوعة من البلاستيك الملون) ، ومجسمات خشبية ، وأدوات قياس (كالمتر ، والمسطرة) وحبوب للزرع والإنبات ، وأوانٍ لإنبات الحبوب.. إلخ .

هذه الأدوات والألعاب المُصنعة من خامات البيئة والتى تُمثل جزءًا من حياة المجتمع تساعد الطفل على اللَّعب بها ، أو تصنيعها لسدّ احتياجاته من اللُّعب بدلًا من شرائها ، كما أنَّها تساعده على نموِّ عضلاته ، وتنمية مهاراته اليدوية من ناحية أخرى ، وتساعد على التنفيس عن مشاعره ، ومعايشة حياة المجتمع الذى يحيا فيه ، كما تساعده على المشاركة فى الخبرات والتعبير عن نفسه وتقمُّصه الأدوار الاجتماعيَّة المختلفة من خلال اللَّعب ،

كل ذلك يُثري ثقافة الطفل ويُشبع حاجاته لحُبِّ الاستطلاع والفضول ، ويشحذ طاقاته الذهنية.

6 - تشجيع الهوايات وتنميتها :

نستطيع إشباع حاجة الطفل إلى الاستطلاع عن طريق تشجيع هواياته المختلفة ، فيمكننا تشجيعه على جمع الطوابع المختلفة سواء داخل بلده أو من بلاد أُخرى ، مع تفسير للرسم أو للصورة موضع الطابع ، أو الحدث المُصاحب لصدوره . كما يمكننا أن نُشجعه على جمع العملات أو النقود من نوعيات مختلفة ومن أقطار مُتعدِّدة ، ويمكن من خلال ذلك أن يعرف الطفل نبذة عن هذا البلد الذى يجمع نقوده ، كذلك هواية جمع الصور النادرة وما تدل عليه ، وأيضًا جمع الفراشات الملونة وتحنيطها .

كما يمكننا أن ننمي هوايات الطفل الأخرى كالتصوير والرسم والزخرفة والأشغال اليدوية والعزف على الآلات الموسيقية .. إلخ . هذا ويمكن للآباء والمربين أن يناقشوا الطفل فى هواياته ويشجعوه ويعلموه ، وأن يستمتعوا بما يُقدمه من أعمالٍ وأنشطة ، وبذلك ننمي في أطفالنا حُبّ الجمال والتذوق الفنى وبث الثقة فى أنفسهم ونشبع فى نفس الوقت حاجتهم إلى حُبِّ الاستطلاع أو الفضول .

• سادساً : إشباع حاجة الطفل إلى إجابة أسئلته بتفهم ووضوح :

تعتبر الأسئلة التى يسألها الطفل والإجابة عنها من وسائل اكتساب المعرفة لديه ، والإجابة عن أسئلة الطفل إجابة تتناسب مع عُمره ومستوى إدراكه من العوامل المهمة التى تُساعد على نموّه . فالأسئلة هى الطريق الذى يحاول الطفل أن ينفذ من خلالها إلى فهم العالم المُحيط به تمهيدًا للتعامل معه. فعندما يُثير اهتمام الطفل موضوع ما ، فإنَّه يسأل عنه ، وهذا ما يُسميه العالم النفسى "أنجويثرى" بـ "الجوع العقلي" ويرى أنَّه لابدّ من إشباع هذا الجوع حتى يتمكَّن الطفل من الحصول على إجابات واضحة وكافية لأسئلته .

• متى يبدأ الطفل فى إلقاء أسئلته ؟

يبدأ الطفل فى إلقاء أسئلته الدالة على تعطشه للمعرفة وحُبّ الاستطلاع ، عندما يصل إلى المرحلة التى نسميها "مرحلة الطفولة المبكرة" (من عامين إلى ستة أعوام) . وحُبّ الاستطلاع هذا يزيد من مهارات الطفل وخبراته ، ولذلك فكلَّما كانت الإجابات التى

يتلقاها الطفل من الآباء أو المربين تتفق مع الثوابت أو المبادئ العلمية فى التربية ، ساعد ذلك على نموّ الطفل نموًّا سويًّا، ممَّا يؤدى إلى توافقه أو تكيُّفه مع البيئة التى يعيش بكنفها، بشكلٍ معقول ومقبول .

ويُحذر الدكتور "ملاك جرجس" الآباء من مغبة عدم الاكتراث بأسئلة الطفل، أو التهرُّب منها ، أو الرد عليها ردودًا تنطوى على الإبهام أو الغموض وعدم المصداقية ، على اعتبار أن هذه التصرُّفات تنم عن إجحاف وظلم كبير لحقوق الأطفال ، لأنَّ الطفل يجد نفسه فى حياة متسعة لا يعرف عنها شيئًا ، لذلك فهو يُريد أن يعرف . نعم .. الطفل يعى ذاته ويدركها ، فهو يتكلَّم ويمشي، ولكنه لا يفهم للحياة معنى ، إنَّه يرى ضوء الشمس متوهجًا عند كل صباح ، ولكنه بحلول المساء يختفى الضوء ليحلّ الظلام ، فلا يعرف أين يختفى الضوء الوهاج ، لذلك فهو يسأل .

• أسئلة الطفل .. ماأهم دوافعها ؟

نسبة كبيرة من أسئلة الأطفال فى السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية (من 6 إلى 12 سنة) يكون منشؤها المخاوف من أشياء لم يكن للأطفال أية خبرة سابقة بها ، فهم يخافون مثلًا الحيوانات حتى وإن لم تُهاجمهم ، كما يخافون من اللصوص وقُطاع الطرق، ويخافون أيضًا المجهول أو العوامل "الميتافيزيقية" (ما فوق الطبيعة) كالموت والجن والأشباح والعفاريت .. إلخ ، حول هذه الموضوعات كثيرًا ما يسأل الأطفال أسئلتهم بهدف الشعور بالأمن والطمأنينة . ولذلك نُحذِّر من قصّ أو حكى القصص المُخيفة أو المُرعبة على الأطفال خصوصًا فى سنيِّهم الأولى ، أو قبل النوم مباشرة كقصص دفن الموتى، والقتل ، والسرقة ، والعفاريت .. إلخ .

ومن ناحية أُخرى يجب ألَّا نخشى مُطلقًا من السماح لأطفالنا بالتعبير عن أحزانهم أومخاوفهم ، فإنَّ التعبير الصريح عن هذه المشاعر يُمهد لهم الطريق للتغلُّب عليها بدلًا من كبتها . والغريب فى هذا الأمر أنَّ الآباء والأمهات يطمئنون عندما يذكرون للآخرين أنَّ ابنهم لم يتفوه بكلمة واحدة عن إحدى التجارب المُخيفة التى يكون مرّ بها ، ويفسرون ذلك على أنَّه دليل قوى على نسيان الطفل لهذه التجربة. وواقع الأمر فإنَّ هذه التجربة المُرعبة تظلّ ماثلة فى ذهنه ، وقد تشلّ قدرته على التفكير أو الحديث فى أشياء أُخرى .

وقد يسأل الأطفال لأنَّ لديهم شغفًا للاختلاط الاجتماعى ، ورغبة فى جذب انتباه الآخرين والاهتمام بهم عن طريق الأسئلة .

وقد يستخدم الأطفال الأسئلة للتعبير عن المقاومة أو التمرُّد تجاه الأشخاص البالغين، أو تعبيرًا عن سخطهم أو استنكارهم للسلطة الوالدية أو المدرسية .

وأحيانًا يلجأ الأطفال إلى كثرة الأسئلة لإدراكهم أنَّهم قد صاروا يتقنون لغة الكلام ، ومن ثمَّ القدرة على التخاطب والتفاهم . وحقيقة الأمر ، فإن أسئلة هؤلاء الأطفال لا تُطرح حُبًّا فى طلب الإجابة ، بقدر ما تُطرح رغبة منهم فى ممارسة اللغة والتباهي بقدراتهم فى استخدامها .

وبعض أسئلة الأطفال تكون مخجلة أو مقلقة وخصوصًا إذا كانت تُلقى أثناء تواجد الغرباء ، ومثل هذه الأسئلة يجب ألَّا يُعاقب عليها الأطفال ، إنَّما يُفضل الإجابة عنها عند انصرافهم ، مع ضرورة التنبيه على الطفل بألَّا يلقى بمثل هذه الأسئلة الخاصة أو الشخصية أثناء تواجد أى فرد من خارج نطاق الأسرة ، حتى ولو كانوا من الأقرباء أو الأصدقاء . وبذلك يتعلَّم الطفل أن يسأل الأسئلة المناسبة فى المكان والوقت المناسبين، عمومًا .. كلَّما كانت معاملتنا لأطفالنا مرنة وهادئة ، وتتسم بالمحبة والقبول نجحنا فى توجيه نظرهم للأشياء المُحبَّبة أو المرغوب فيها ، لأنَّ احترامهم ومعاملتهم بالفهم والتقدير يخلق جوًّا من الدفء العاطفى المتبادل بينهم وبين أفراد أسرتهم ، ومن ثمَّ تصبح قيادتهم وتوجيههم سهلة وميسورة .

وقد تكون بعض أسئلة الأطفال مقصودًا بها التهكُّم أو النَّيْل من بعض الأشخاص البالغين ، كأن يسألوهم : لماذا أنت سمين ؟ لماذا تلبس النظارة .. هل أنت أعمى ؟ ، وعلى الآباء والمربين توجيه أطفالهم إلى أنَّه من غير اللائق أن يطرحوا مثل هذه الأسئلة .

وقد يسأل الطفل كثيرًا عندما يُطلب منه أداء عمل مُعيَّن لا يُحبه ، أو عندما يُرجى منه الذهاب إلى فراشه لينام ، والغرض من هذه الأسئلة هو التهرُّب من أداء هذا العمل ، أو تأخير موعد النوم .

ويلجأ الطفل أحيانًا إلى التدخل فى الحديث بين الكبار ، ويسأل أسئلته لا لشىء إلَّا ليلفت النظر إليه ، وهذا يثبت أنَّ الطفل يحاول أن يؤكِّد ذاته أو يُعبِّر عن حاجاته البيولوجية أو النفسيَّة أو العقلية ، وهذا يُحتم على الكبار أن يفهموا دوافع الطفل جيدًا .

ونؤكّد أنّه كلّما كانت حاجات الطفل مُشبعَة إشباعًا مناسبًا ومعقولاً قَلَّت أو اختفت الأسئلة التى تهدف إلى النيل من الكبار وإحراجهم . وفى كل الحالات ينبغى على الآباء والمربين أن يقابلوا أسئلة أطفالهم بنوعٍ من الاهتمام والفهم والتقدير .

• الاتجاهات الوالدية .. وأسئلة الطفل :

يضيق بعض الآباء والأمهات ذرعًا بأبناهم عندما يبدأون فى طرح الأسئلة عليهم ، على اعتبار أن كثيرًا من هذه الأسئلة ، إنما تنطوى على مواقف حرجة أو مخجلة . وبالتالى فإنَّهم يشعرون بالعجز عن إعطائهم الإجابات الشافية لها ، وخصوصًا حينما يسألونهم عن بعض الأمور الحساسة كالجنس مثلاً . ونحن نؤكّد أنَّه لا يجوز – بحالٍ من الأحوال– الاستهزاء بأسئلة الأطفال ، أو نهرهم عليها ، بل ينبغى الإجابة عليها بقدر ما تسمح به عقولهم ، وبشرط أن تكون صادرة من آباء وأمهات يميلون إلى إكساب أطفالهم العلم والمعرفة . أمَّا الإسراف فى كبح هذا الدافع فيؤدى بالأطفال إلى الانحرافات ، لأنَّهم سوف يلجأون لمعرفة هذه الحقائق من مصادر أخرى قد تكون غير أمينة فى كشف هذه الحقائق، فتشوهها أو تُحرِّفها، أو قد يلجأ الأطفال إلى التلصُّص أو التصنُّت ، أو التقاط المعلومات السيئة التى قد يعتقدون أنَّها الإجابات الصحيحة أو الحقائق الصائبة .

لابدّ أن يتحلى الآباء والأمهات والمربون أيضًا بالصبر ، لأنَّ الطفل قد يرغب فى إعادة شرح حقيقة واحدة بعينها بكلمات مختلفة أو بعبارات متباينة، علماً بأن هذا الشرح لا يكون مبعث ضيق أو ملل للطفل ، لأنَّه يرغب فى سماع هذه الحقائق المرة تلو الأخرى حتى تصبح جزءًا من معرفته واعتقاده ، وإلَّا ظلت هذه الحقائق مُجرَّد لوغاريتمات أو رموز يستعصى على أى أحد – مهما كان – أن يحلها أو يفك طلاسمها ، ممَّا يوقع الطفل فى حيرة وقلق وشك .

ويظن بعض الآباء والأمهات – خطأ – أن أسئلة الأطفال عن الأمور الجنسيَّة يُعد شذوذًا مَرَضيًّا ، وهذا يُخالف الواقع بكل تأكيد . لأنَّ الأطفال يمرون بمرحلة تُسمى مرحلة "الاسترسال فى الأسئلة" ولذلك فإنَّ عددًا كبيرًا من الآباء والأمهات يتهربون من الإجابات ، بل أحيانًا ينهرونهم أو يعاقبونهم، فى حين يخيب أمل الأطفال فى أبويهم عندما لا يسمعون من أحدهما أو كليهما إجابات شافية أو مقنعة ، على الرغم من قناعة الأطفال بأنَّ آباءهم يعرفون الحقائق كاملة ، وبالتالى يقعون فريسة للحيرة والبلبلة .

ويجب أن يعلم الآباء والمربون أنَّ إشعار الطفل بعدم القبول لأنَّه يسأل أسئلة مُحرجة أو مربكة ، إنما يوقعه فى مغبة الشعور بالذنب ممَّا يُعرضه للقلق النفسي والخجل والانزواء والبعد عن الحياة الاجتماعية فى الأسرة أو المدرسة .

هذا .. وقد دلت البحوث والتجارب التربوية والنفسيَّة أنَّ التهرُّب من الردِّ على أسئلة الأطفال أو الناشئة ، وتعمُّد تأجيل الإجابة عنها ، إنما يتركهم عادةً يُعانون من مشكلات لا يفهمون لها حلا .

ونحن فى هذا الصدد ننصح بأنَّه لا داعى للهرب من الأجابة عن أسئلة الطفل ، وأنَّه يمكننا الإجابة عن الموضوعات الصعبة أو الحساسة فى لغة بسيطة ، سلسة ، يفهمها الطفل ، وأن نتدرَّج فى الإجابة خطوة خطوة ، فإن تم اتباع ذلك وصلنا بالطفل إلى برِّ الأمان . وعلى أية حال فإن كثيرًا من الأطفال يعرفون جيدًا مواطن حيرتهم ، وبالتالى فهم يدركون أشياء جوهرية قد لا ندركها نحن الكبار ، بدليل أننا نقول أحياناً : لم أكن أتصوَّر ابنى الصغير يسألنى مثل هذا السؤال !! وهذا يدل فى الواقع على ضعف ثقتنا بإدراك أطفالنا، ولذلك نؤكِّد على أنَّ الأطفال ينظرون إلى الحياة فى بساطة ، بينما لا تعنيهم التفاصيل المُعقَّدة .

وهناك بعض الآباء والأمهات يحاولون التخلُّص من إلحاح الطفل فى تساؤلاته ، بقولهم : "إنك يا حبيبى سوف لا تفهم ما نقوله لك الآن .. لذلك سوف نخبرك عندما تكبر .. فلا تُزعج نفسك فى التفكير فى ذلك الآن". أو عندما يقدمون له إجابات ناقصة أو مُحرَّفة ، أو خيالية بعيدة عن الحقيقة ، ولكن سرعان ما يكتشف الطفل عدم كفايتها، فيفقد الثقة بأبويه ، ولذلك نجده يلجأ إلى الآخرين للحصول على ما يريد أن يعرفه ، فى حين أنَّهم قد يعطونه إجابات أو تفسيرات غير مقبولة ، أو إجابات قد تضر بصحّته النفسيَّة ، أو إجابات تعرقل قدراته الذهنية والفكرية ، كما أنَّه يشعر بالضيق لأننا أنكرنا عليه تنمية معارفه ، علاوة على أننا سوف نفقد ميزة اضطلاعنا بقيادة وتوجيه أطفالنا فى الاتجاه الصحيح .

لذا ، لابدّ أن تكون إجاباتنا عن أسئلة أطفالنا إجابات صادقة بدون التعمُّق فى التفاصيل الدقيقة ، وأن تكون كذلك إجابات مُبسطة ، بحيث يهضمها تفكيره المحدود

حسب عُمره . فإذا كان الطفل فى الشريحة العُمرية ما بين ثلاث إلى خمس سنوات فالمفروض أن تكون الإجابة مبسطة جدًّا ، وتُجيب عمَّا يجول فى ذهنه من أفكار .

إنَّ القاعدة الأساسية فى الإجابة عن أسئلة الطفل هى أن تكون إجابة مُحدَّدة ومُبسطة وقصيرة وبطريقة ذكية ، لا يتطلَّب الأمر فيها تدقيقًا أو دخولًا فى تفاصيل متشابكة أو مُعقدة أو مملة بطبيعة الحال . هذا ، وتختلف الإجابة عندما يأتى نفس السؤال من الطفل وهو فى سن أكبر مثلا : فى سن السابعة أو الثامنة من العُمر .

على أنَّه لا بدّ أن نتيقن إذا كان الطفل فى سن مناسبة لكى يسأل سؤالًا ما، فإن سنه ستكون مناسبة كذلك لتلقى إجابته عن هذا السؤال ، فإنَّ مُجرَّد ظهور المشكلة فى ذهنه ، وقدرته على التعبير عنها ، لهو برهان كافٍ لإدراكه بأنَّها مشكلة بحاجة إلى حل .

من المهم إذاً أن نُقدِّم لأطفالنا إجابات صحيحة تُناسب مداركهم وقدراتهم العقلية كلٌّ حسب عُمره ، كما يجب أن يدرك الآباء والمربون أنَّ الأخذ والعطاء مع الطفل فى الإجابة عن أسئلته له فوائد كثيرة ، أهمها : تنمية شخصية الطفل، وقدراته اللغوية ، وتدريبه على استخدام الكلمات والتعبيرات الجديدة ، كما أنَّه يكتسب من هذا مهارة الأخذ والعطاء ، أيضًا يكتسب خبرات وتجارب فى استخدام الأفكار والآراء المُجرَّدة : كالصدق والأمانة والحرية والتضحية والمروءة .. إلخ ، التى لا يمكنه أن يصل إلى استخدامها بمفرده إلَّا بعد خبرات طويلة آتية . هذا كما أنَّ الطفل يتعلَّم عن طريق الأخذ والعطاء فى الإجابة عن أسئلته القدرة على الإصغاء والاستمتاع إلى الإجابات المطولة ، كما أنَّه يستمتع بمشاركة والديه له من الناحية الوجدانية ، الأمر الذى يجعل قياداتهما له سهلة وميسورة ، ويجعله أكثر تقبُّلًا لما يُقال له ، ولفهم ذاته أيضًا .

من هذا كلّه نستخلص بأن هناك من الأسئلة ما هو دقيق ومُحرج ، ويحتاج إلى اجابات واضحة ومفيدة . لذلك فإنَّ عددًا غير قليل من الآباء والأمهات لا يجدون – غالبًا – إجابات تربوية سليمة . ومن هذا المنطلق لجأت كثير من الدول المتقدمة إلى إنشاء مركز لتوجيه وإرشاد الآباء والأمهات بشأن ما يقدمونه لأطفالهم من إجابات ، لذلك ننادي بضرورة إنشاء مثل هذه المراكز فى مصر وفى سائر البلاد العربية أسوة بالدول المتقدمة ، ولعلّ هذا المطلب الذى ننادى به من خلال هذا المؤلَّف يأتى مواكبًا مع ازدياد المدّ المعلوماتي الذى جعل من عقلية الأطفال والناشئة أكثر وعيًا وإدراكًا وذكاءً، وهذا بالطبع يولِّد سيلًا

جارفًا مُتدفقًا – لا ينحسر من الأسئلة والاستفسارات التى لا بدّ أن تلقى إجابات دقيقة وواعية وذكية ومنطقية ليتنا نُدرك أنَّه إذا استطعنا منذ اللَّحظات الأولى لمولد الطفل وما بعدها أن نثبت قدراتنا على إقناع الأطفال ، فإنهم سوف يُقبلون علينا لنرشدهم ونوجههم، فنكشف عن أسرار الحياة التى يعيشون بكنفها ، حياة القرن الحادي والعشرين ، فنهدئ من شكوكهم ، ونبصرهم بحقائق الأمور ، لأنَّه علينا أن نُدرك أن أطفال هذا الجيل لا يقنعون بسهولة !!

• أطفالنا .. ماذا يسألون ؟ وبم نجيبهم ؟

أسئلة عن الظاهرات الكونية :

ظهور الشمس ثم اختفاؤها ، وتعاقب الليل والنهار ، مسألة تُحير الطفل وتجعله يسأل: من أين تظهر الشمس ؟ وأين تختفى ؟ وكيف تحدث ظاهرة تعاقب الليل والنهار ؟

وعلينا كآباء وأمهات ألَّا نُجيب عن هذه الأسئلة إجابات ساذجة ، بل يجب أن نُجيب عنها إجابات علمية مُبسَّطة . ونحن نقترح أن نأتى بلُعب على هيئة "كرة أرضية" ونمسك بشمعة ونعرضها للكرة من ناحية مُعيَّنة ، ثم نلف الكرة أمام الطفل ، إنَّه سوف يرى أنَّ جانبًا من الكرة يُضيء بينما يُظلم الجانب الآخر، فى حين أن الشمعة تكون ثابتة لا تتحرَّك من مكانها ، فى هذه الأثناء يمكننا أن نقول للطفل إن الشمس مثل الشمعة موجودة دائمًا، كل ما فى الأمر أن الأرض التى نعيش فوقها تلف أو تدور بسرعة كبيرة جدًّا لا نشعر بدورانها، مرّةً تواجه الشمس فيكون النهار ، ومرَّةً تبتعد عن الشمس فيكون الليل . وعندما يكبر الطفل بضع سنوات يمكننا أن نقول له إنَّ الأرض تدور مرَّة كل 24 ساعة، نصفها 12 ساعة نرى فيها الشمس وتكون الأرض نهارًا ، ونصفها الآخر 12 ساعة أخرى لا نرى فيها الشمس، فتكون الأرض ليلًا .

أسئلة جنسيَّة :

أحياناً يسأل الطفل سؤالًا ، مثل : لماذا أبى لا يلد مثلك يا أُمي ؟ ، والإجابة عن هذا السؤال لابدّ أن تكون مُبسَّطة ومختصرة ، فتقول له أمه : الله خلق النساء لتلد وترعى الأطفال .. وخلق الرجال ليقوموا بالأعمال الأخرى . وقد تسأل بنت صغيرة أُمَّها : لماذا لا ألد أنا طفلاً مثلك يا ماما ؟ ، والإجابة سهلة : وتتلخص فى قول الأمّ : عندما تكبرين يا حبيبتى سوف تتزوجين مثلى .. وعندئذ تلدين طفلاً .

وقد يسأل الأطفال آباءهم قائلين : لماذا من الضروري أن يتزوج الرجل بامرأة ؟ ، وقد يُصْدَم الآباء أو الأمهات بمثل هذا السؤال ، ويشعرون بالحرج الشديد ، ونحن نؤكِّد أنَّ هذا السؤال طبيعى جدًّا ، فالأطفال إنما يبحثون عن تفسير منطقي مقنع لكل ما يرونه حولهم ، والإجابه عن مثل هذا السؤال تتلخص فى الآتي : كل طفل لابد أن يكون له أب وأم مثلك تمامًا : أو كل إنسان فى الدنيا له وظيفة لا يستطيع أن يقوم بها الآخر .. الرجل خلقه الله ليعمل ويدافع عن الأسرة ويحميها .. والأمُّ تُنجب الأطفال وتربيهم فتصنع لهم الطعام والشراب .. إذًا كل بيت لابد أن يكون به رجل وامرأة .

سؤال آخر ذو حساسية قد يسأله الطفل : لماذا لا يتزوج الأخ أخته ؟ والإجابة تتلخص فى الاعتماد على تعاليم الأديان السماوية ، فنقول له : لابد أن نحترم وصايا الله تعالى التى جاءت فى القرآن الكريم ، أو الكتاب المقدس بأن الأخ لا يتزوج من أخته ، وقد يسترسل الطفل فيقول : لماذا أوصانا الله بذلك؟ عندها نقول له : إنَّ الله له حكمة عظيمة فى ذلك.. لأنَّ الأخ عندما يتزوج أخته يظلَّان اثنين فقط .. ولكن لو أن الأخ تزوج واحدة أُخرى غير أخته .. وتزوجت الأخت واحداً آخر غير أخيها .. لكبرت العائلة وصارت أكثر عددًا .. وأنت بالطبع تحب أن تكون عائلتنا كثيرة وكبيرة .

وقد يسأل الطفل : لماذا لا نستحم أنا وأختى معًا ؟ ، ويكفى للردِّ على هذا السؤال أنْ نقول له : لأنك الآن صرت كبيرًا .. كما صارت أختك كبيرة أيضًا.. والأولاد والبنات الكبار يستحمون كلٌّ على حدة بمساعدة قليلة من الأمِّ .

أسئلة عن الموت :

الطفل يفكر فى الموت وفى معناه ، إنَّه دائم الاستماع عنه سواء فى البيئة ، أو فى برامج الإذاعة والتلفزيون ، أو بمناسبة وفاة أحد الأقرباء أو الأصدقاء ، أو عند وفاة زعيم أو شخصية مرموقة . بل إن الطفل يقرأ عن الموت فى قصه، حتى الكبار يتحدثون عنه فى وجوده ، ولذلك فكل طفل يُفكر ويُخمن عن معناه وسرّه ، بل قد يُعانى من مخاوف شديدة من جرَّاء التفكير فيه ، حتى إذا أصابه المرض ، فإنَّه يسأل : هل سأموت !؟

وقبل أن نحاول تقديم بعض النماذج من أسئلة الطفل عن الموت وكيفية الإجابة عنها بما يتناسب مع أعمارهم ، ونموّ مداركهم ، حسب سلالم النموّ الخاصَّة بتطور فكرة الطفل

عن الموت ، وذلك من خلال ما كتبه عَالِم النفس الشهير "أرنلدجزل" والتى جاءت كالتالى (ببعض التصرُّف) :

- من عام إلى ثلاثة أعوام : إدراك الطفل لفكرة الموت ضئيل جدًّا .
- أربعة أعوام : يستعمل الطفل كلمة "الموت" وإن كانت فكرته عن الموت نفسه فكرة غامضة .
- خمسة أعوام ونصف : يدرك الطفل عدم قابلية الميِّت للحركة ، وموقفه من الموت فى هذا السِّن واقعي وغير انفعالي أو عاطفي ، وهو يعرف أنَ الموت مرتبط العُمْر ، وأنَّه فى الغالب يموت كبار السِّن أولًا .
- ستة أعوام : بداية الاستجابات الانفعالية لفكرة الموت ، والطفل يستطيع أن يربط بين القتل والموت ، وربما بين المرض والموت ، وتزعجه قصص الموت، لكنه لا يعتقد أنَّه سوف يموت كالآخرين .
- سبعة أعوام : الطفل فى هذه السِّن أحسن فهمًا للموت ، وهو يهتم إلى حدٍ ما بأسباب الموت ، ويزداد ربطه بين كبر السِّن والموت .
- ثمانية أعوام : يهتم بما يحدث بعد الموت ، وقد يُسلِّم بأنَّ جميع الناس بما فيهم هو سوف يموتون .
- تسعة أعوام : يواجه الطفل فكرة الموت مباشرة ، فلا يكتفى بُمجرَّد أن يهتم بهوامشه كالنعوش أو المقابر ، ويتقبَّل بروح واقعية تمامًا حقيقة أنَّه عندما يكبر سيموت .

بعد هذا التتبع سنحاول طرح بعض النماذج من أسئلة الطفل عن الموت، فها هو طفل يسأل : أين ذهبت جدتى بعد أن ماتت ؟ يمكن أن نُجيب هذا الطفل إجابة بسيطة ، أن نقوله له : جدتك ذهبت بعيدًا .. سافرت إلى الله . أمَّا إذا كان الطفل فى سِّن كبيرة نسبيًّا ويُدرك معنى الموت ، فيمكن أن نقول له : جدتك ماتت وذهبت عند الله ، وإذا استرسل الطفل فى الأسئلة ، فنضيف قائلين : كل إنسان حدَّد له الله فترة من الزمن ليعيش فيها على الأرض ، ثم يموت .. مثل الأزهار والأشجار والطيور والحيوانات .. فهى تموت بعد فترة من الزمن .

وقد يسأل الطفل : ماذا يحدث عندما يموت الإنسان ؟ عندها ينبغى فى أن تكون الإجابة كالتالى : الروح تخرج من الجسد .. فعندما تموت الدجاجة لا نرى روحها وهى

تخرج .. لأنَّ الروح شفافة جدًّا لا يراها أحد . وقد يسأل الطفل أيضاً : لماذا يموت الأطفال الصِّغار ؟ لأنَّه يعلم – بحكم سنه الصغير – أنَّ الكبار هم الذين يموتون أولًا ، فيمكننا أن نقول له : الأطفال يموتون لأنَّهم لا يأكلون جيدًا .. أو لأنَّهم يعرضون أنفسهم للبرد والأمراض .. أو لأنَّهم يأكلون طعامًا ملوثًا من خارج المنزل . هذه إجابة منطقية وتوجيهية أيضًا ، لأنَّ الطفل يخشى على حياته من الموت ، فقد ينتبه إلى أهمية تناول الطعام بانتظام، وإلى تكوين العادات الصحية السليمة ، على أنَّه يجب أن نحترس من خطر تخويف الطفل بشكلٍ مُبالغ فيه بغية تكوين هذه العادات لديه .

وكثيرًا ما يقلق الطفل على والديه ، ويخاف عليهما من الموت ، ولذلك فهو يسأل والدته قائلًا : هل سيموت أبى مثل الآخرين ؟ ، والإجابة يجب أن تطمئن الطفل ، فتقول له أمّه : أنا وأبوك مازلنا صغار السِّن .. والناس لا يموتون إلَّا إذا أصبحوا كبارًا فى السِّن (عواجيز) أى بعد أن يكبر أولادهم وينتهوا من تعليمهم ويتزوجوا وينجبوا أولادًا أيضًا ، ويمكن للأمِّ أن تضرب مثالًا بأحد الأقارب المتوفين ، بعد ان ترك أولادًا كبارًا .

وحينما يسأل الطفل قائلًا : ماذا يفعلون فى الميت ؟ ، فيمكن أن نقول له: لأنَّه أصبح لا يحس بشىء ، فإننا نأخذه إلى مكانٍ خاص لنضعه فيه .. هذا المكان نسميه : القبر .

أسئلة عن المرض :

كثيراً ما يمرض الأطفال ، ولذلك هم يتساءلون عن سبب مرضهم ، ولماذا هم يمرضون دون غيرهم من الأطفال ، خصوصًا إذا طالت فترة المرض ، وأحيانًا يُخطئ الآباء أخطاءً جسيمة ، عندما يقولون لطفلهم المريض : لأنك كنت طفلًا مشاكسًا .. وكنت تكذب .. فعاقبك الله بهذا المرض . ولذلك ينبغي الابتعاد تمامًا عن هذه الإجابات التى تنطوى على نوعٍ من التشفى والمعايرة وإثارة المخاوف ، بل يجب أن نقول له : كل الناس كباراً أم صغاراً يمرضون.. ولكن إذا أخذوا الدواء بانتظام .. فإنَّ الله سوف يشفيهم ، ثم نضرب له أمثلة بمَنْ سبق ومرضوا ، ثم تم شفاؤهم بعد ذلك .

وإذا كان العلاج يستدعى الحقن ، وسأل الطفل : هل سأشعر بالألم ؟ ، يجب عندها ألَّا نخدع الطفل ونكذب عليه ، وإلَّا فَقد الثقة بنا ، لذلك يجب أن نقول له : نعم ستتألم قليلًا ولمدة قصيرة جدًّا .. ولكن بعدها ستشفى .. وأنت بالطبع شجاع مثلنا وأكثر .. فنحن نأخذ الحُقَنْ ولا نبكي .

وبالنسبة للدواء يجب أن نصارحه بأن طعمه مُرّ بعض الشيء أوأنَّه سيئ الطعم ، ثم نقول له ونطمئنه : إذا أخذت الدواء بسرعة ، ثما تناولت قطعة من الحلوى بعد ذلك ، فسوف يتلاشى طعم الدواء المرّ .

وقد يسأل الطفل : لماذا أذهب إلى المستشفى ؟ وهنا يجب أن نوضح له أن المستشفى أفضل وأنسب مكان للعلاج وبالتالى الشفاء ، لأنَّ الأطباء والممرضات طوال الوقت يعملون بها ، كما أن بها كل شيء يحتاجه الطبيب حتى يشفى مرضاه .

وإذا كانت هناك عملية جراحية ستجرى للطفل ، فيجب قبلها أن يتعرّف على حجرة العمليات ، وأن نطمئنه بأنَّ العملية لن تؤلمه ، لأنَّهم سيعطونه مُخدرًا يجعله ينام ، فلا يحس بشيء على الإطلاق ، وأن نَعِدَهُ بأننا سوف نلازمه أثناء إجراء العملية ، وبعدها أيضًا .

أسئلة عن الطلاق :

قد يسأل الطفل هذا السؤال : لماذا حدث الطلاق بينك وبين والدى ؟ أو العكس. ونحن نقترح أن تكون الإجابة عن هذا السؤال – من الأب والأم – كالتالي : إن سبب الطلاق أننا أصبحنا غير متفقين .. وسيعيش كل منا فى بيت غير البيت الذى يعيش فيه الآخر .. وأنت ستعيش معي .. ولا غرابة فى ذلك .. لكن تأكَّد من أنَّ أباك يُحبّك .. كما أُحبّك أنا .. وهو سوف يزورك من وقتٍ لآخر لتستمتع بصحبته .

أسئلة عن الله سبحانه وتعالى :

كل الأطفال يسمعون الشيء الكثير جدًّا عن الله سبحانه وتعالى ، ومن هذا المنطلق تكثر أسئلتهم عنه سبحانه وتعالى ، وتتنوَّع وهى أسئلة طبيعية يجب عدم إهمال الإجابة عنها بحسب وعي الطفل ومستوى إدراكه . وهنا سوف نستعرض معًا سلالم النموّ الخاصة بتطوُّر فكرة الطفل عن الله ، كما وضعها عَلِم النفس "أرنلد جزل" والتى جاءت كالتالي (ببعض التصرُّف) :

- سنتان : ليس لدى الطفل أية حاسة دينية يُعوَّل عليها .
- ثلاث سنوات قد يُردِّد الطفل بعض الصلوات .
- أربع سنوات : يهتم الطفل اهتمامًا ملحوظًا بالله ، ونراه يُكثر من الأسئلة التفصيلية بشأنه سبحانه وتعالى ، وهو يعتنق ديانة والديه ، لأنَّه يعتقد أن والديه عالمان بكل شيء، كما أنَّه يستمتع بالصلوات .

- خمس سنوات : مازال الطفل على اهتمامه بالله وبالأسئلة عنه سبحانه وتعالى، بعض الأطفال يعتقد أن الله مسئول عن كل شيء ، ويستطيب الصلوات والشعائر .
- ست سنوات : يفهم الطفل فى هذه السِّن فكرة الله كخالق للحياة بما فيها الطيور والحيوانات ، وللجميل من الأشياء كالبحار والسماء والشمس والنجوم.. إلخ ، ويهتم اهتمامًا ملحوظًا بتلاوة الصلوات .
- سبع سنوات : يهتم الطفل بالله وبالجنة ، وهو يُبدى اهتمامًا بالقصص الديني كقصص الأنبياء .
- ثماني سنوات : يهتم الطفل بما يُروَى من أن الروح لا الجسم هى التى تدخل الجنة، ربما يتصوَّر أنَّ الموت عمل مباشر من أعمال الله ، مازال يُحبّ القصص الدينى ، ويُحبّ أن يؤدي صلواته مع أحد والديه .

• سابعًا : إشباع حاجة الأطفال إلى الإنجاز :

دافع الإنجاز Achievement Motivation يعنى حاجة الشخص إلى بلوغ النجاح فى أنماط النشاط المختلفة ، خاصة التنافس مع الآخرين . وقد بدأت الدراسات المتعلقة بدافع الإنجاز على يّد مجموعة من الباحثين الأمريكيين برئاسة "دافيد ماكليلاند" . ويتشكَّل دافع إنجاز طبقًا لـ "ماكليلاند" من خلال تربية الطفل داخل الأسرة تحت تأثير والديه ، بحيث تأتي الأم فى المقام الأول ، ويتألَّف الأساس الذى ينبني عليه دافع الإنجاز من التداعيات المشوبة بالعاطفة والتى تربط خبرة الطفل العاطفية بأشكال سلوكه . فإذا امتدح الوالدان الطفل فى سنوات طفولته الأولى لنجاحاته ، وعاقباه لإخفاقاته ، فإنَّه يكوِّن مع بلوغه الخامسة أو السادسة دافع الإنجاز والذى يتحوَّل فيما بعد إلى حاجة ثابتة، ويكتشف من خلال الأنماط المختلفة للنشاط الذى يقوم به الطفل.

بدايات ظهور حاجة الطفل إلى الإنجاز :

تظهر حاجة الطفل إلى الإنجاز من خلال ميله إلى التعبير عن نفسه ، والإفصاح عن شخصيته فى مناشطه المختلفة ، وكل ما يشترك فيه ويقدمه من خدمات للآخرين حسب قدراته وإمكاناته . كما تتضح من خلال رغبة الطفل فى أن تنمو مهاراته إلى الحدِّ الذى تسمح له بالسيطرة على جوانب بيئته، وأن ينجح فى أدائه أعماله أو مناشطه التى يُكلَّف بها ، بحيث يرى نتيجة أعماله ماثلة أمامه وبادية للعيان .

ويرى " إبراهام مازلو" أن كل فرد يستطيع عمل شيء بما لديه من استعدادات وقدرات وإمكانات وذلك من خلال توظيفها توظيفًا جيدًا .

وتبدأ هذه الحاجة فى الظهور خلال السنتين الأوليين ، حيث يحاول الطفل جاهدًا أن يقف ويمشى ، وفى بنائه المتأني للأبراج والمنازل من خلال المكعبات الخشبية ، ومن إصراره على أن يقوم بتغذية نفسه .

كما تظهر الحاجة إلى الإنجاز لدى الأطفال فى سن المدرسة الابتدائية (من ست سنوات إلى اثنتى عشرة سنة) من خلال إحساساهم بكفاءتهم فى الأعمال التى تتصل بالكبار ، ومن قبيل إتقان المهارات الحركية والعقلية ، وتعلُّم كيفية التفاعل بنجاح مع الآخرين .

ومن خلال الإنجاز يشعر الطفل بنفسه ، كشخص مستقل له أهدافه الخاصة، وأنَّه يستطيع التأثير على البيئة المُحيطة به ، وإنَّه يبدأ فى أن يكون شخصاً له قيمته ، خاصة عندما يقدره أبواه ويمتدحانه ويشجعانه .

ويشبع هذه الحاجة إمداد الطفل باللعب والأدوات التى يستطيع أن يعمل منها شيئًا مفيدًا يتناسب مع قدراته وإمكاناته ، وكذلك بخلق بيئة ثرية بمواقفها ومثيراتها بحيث تتاح للطفل فرص العمل والإنتاج والابتكار والخلق والإبداع .. وبذلك يستطيع أن يُحقق ذاته ويؤكِّدها من خلال العمل والإنجاز.

• كيف نكتشف حاجة الطفل إلى الإنجاز؟

- الطفل الذى تظهر لديه الحاجة إلى الإنجاز هو طفل يرغب في عمل شيء ما، أو أنَّه يعمل بطريقة أكثر ، وقد يبدى اعتذاره عمَّا أخفق فيه من أعمال ، كأن يقول لوالديه: كان باستطاعتى أن أكمل هذه الصورة لو أنّ لدىَّ ألوانًا جيدة . وقد يُظهر نوعًا من الاحتجاجات اللَّفظية المقترنة ببعض الضيق ، كأن يقول : لم تعطنى المُعلِّمة الفرصة الكافية لإتمام ما كنت أقوم به من عمل على خير وجه .
- كثيرًا ما يظهر الطفل للآباء أو المربين بطرق مختلفة ما يدل أنَّ الآخرين أكثر منه مهارة أو تفوقًا . ولذلك ، فهو يتمنى لو يعمل مثلهم ، وهو يرغب فى إنجاز أعماله وأنشطته ببعض المساعدة من الآخرين . كما أنَّه يتباهى بنجاح بعض أفراد أسرته، ومع ذلك فهو قد يُسفِّه إنجازات الآخرين . ونراه يطلب من والديه أو مُعلِّميه المزيد

من المديح والثناء لأعماله ، وقد يُفصح عن عدم رضاه لمعظم إنجازاته الخاصة ، فهو يقول: أودُّ أن أعرف كيف أستذكر دروسي بشكلٍ أفضل .

- والطفل يشعر بالحاجة إلى الإنجاز قد يفعل أشياء تدل على اضطرابه العاطفي ، فهو يبتعد عن كل نشاط يمكن أن يؤدي إلى التشكُّك فى قدراته ، ومن ثمّ فهو يتجنَّب مواقف التنافس ، وقد يغش فى الامتحانات ، أو ينقل عن غيره الواجبات المدرسية ، ونراه يُصاحب الأطفال الأصغر منه سنًّا حتى يمكنه التفوق عليهم .
- وهو طفل قد يُظهر نقصًا ملحوظًا فى الطموح ؛ فإراداته للتعلّم قد تكون قليلة، كما أنه طفل يتسم بالتردُّد والكسل واللامبالاة- ومن جهة أخرى – فهو يقضى وقتًا طويلًا يحاول عمل أشياء خارج حدود قدراته ، وقد تظهر لديه بعض الاتجاهات العدوانية تجاه الآخرين أو تجاه الأشياء فيخربها ، أو يدمرها .
- والآباء والأمهات غالبًا ما يكون لهم دورٌ بارزٌ فى إحساس الأطفال بنقص الحاجة للإنجاز ، فهم يقارنون بينه وبين الآخرين ، كأن يقولوا له : لماذا لا تحصل على درجات عالية كما يحصل عليها صديقك (فلان) ؟ ، أو : هل ينقصك شىء لتتفوق مثل أخيك؟. وهذا الطفل قد يواجه دائمًا تعليقات ساخرة، كأن يُقال له مثلًا : أنت لا تتم أعمالك بشكلٍ جيد أبدًا ، أو : لماذا لا تعتمد على نفسك ؟ . ويُساهم الآباء والمُعلّمون على السواء– بطرق مختلفة – فى تعاسة مثل هذا الطفل الذى يحتاج إلى الشعور بالإنجاز مثل تكديره أو إحباطه ممَّا يساعد على زيادة عدم أمانه العاطفى .

• أهمية شعور الطفل بالإنجاز:

تكّد الدكتورة "هدى محمَّد قناوي" على أنَّ الإنجاز يتكوَّن من خلال العلاقة المبكرة بين الوليد وأمه ، فالطفل الذى يلقى قدرًا كبيرًا من القبول والتقدير والمديح – منذ الشهور الأولى من عُمره – يشعر بالأمن الداخلى.

وحقيقة الأمر ، أنَّ الأطفال يحتاجون إلى الشعور بالإنجاز طيلة حياتهم، لأنَّ إحباط هذه الحاجة يُساعد على اضطراب السلوك لدى الطفل ، فشعور الطفل بقيمته هو الذى يجعله يثق بنفسه ، ويدفعه لإثبات ذاته بكل الطرق البسيطة أو الصعبة على حدٍ سواء .

والطفل الذى لديه حاجة غير مشبعة للإنجاز هو طفل يشعر بعدم الكفاءة والنقص، فيفقد همّته ، لأنَّه يشعر بأنَّه لا فائدة تُرجى منه ، ومع حرمانه من التقدير والتشجيع فقد

تتكوَّن لديه مشاعر الكراهية ، والحقد ، والحسد ، فيكتسى سلوكه – لامحالة – بطابع العدوانية ، أو قد ينطوى حزينًا خاضعًا ، تاركًا نفسه لتتقاذفه أمواج الحياة وأنواؤها ، لأنَّه يشعر بأن أحدًا لا يهتم أو يكترث له .

• كيف نشبع حاجة الطفل إلى الإنجاز ؟

- على الآباء والمربين ألَّا يتركوا الطفل يواجه الإحباط المتكرر ، وذلك بألَّا يكلفوه بمستويات أعلى من قدراته وإمكاناته ، بل يمكنهم أن يختاروا له مستويات تناسب إمكاناته الحقيقية ، كذلك انتقاء مهام جديدة والتخطيط لخبرات يمكن أن يكتسبها بنجاح .
- التعرُّف على ميول الطفل ورغباته ، فإذا أراد أن يتعلَّم أنشطة مُعينة ، فيجب على الآباء والمُعلِّمين أن يتعرفوا على هذه الأنشطة ، وأن يساعدوه فى اكتساب الخبرات التى تساعده على النجاح ، ومن ثمّ إحساسه بالإنجاز ، وأن يعاونوه أيضًا فى التغلُّب على العقبات التى يمكن أن تواجهه .
- يجب أن تتنوَّع المثيرات فى المدرسة ، فإذا كانت المدرسة هى مُجرَّد مكان لتعلُّم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب .. إلخ ، فإن الطفل لن يتمكَّن من الكشف عن مواهبه المخبوءة، لذلك لابدّ أن تُتاح للطفل وسائط مُتعدِّدة للأنشطة .
- أن يُطلب من الطفل مساعدة الآخرين فى أعمالهم ، فالطفل يستطيع أن يتعلَّم كثيرًا من أقرانه وأصدقائه ، فكثيرون منهم يحصلون على الإحساس بالإنجاز عندما يطلب منهم مساعدة شخص آخر ، وهذا ينطبق أيضًا على مساعدة الطفل لوالديه أو مُعلِّميه.
- يجب على الآباء والمربين أن يجعلوا الطفل يُدرك أن الفشل فى حدّ ذاته مظهر من مظاهر التعلُّم وليس نهاية المطاف ، وأن الخطأ نفسه غالبًا لا يتكرر مرَّة أخرى ، عندئذ يتعلَّم الطفل أنَّ الآباء والمربين إنما هم أُناس ينظرون إلى النجاح بمنظار واقعي ، وأن يُدرك أيضاً أنَّ الأخطاء التى تُرتكب اليوم هى مكسب لأنَّها تقيه مغبة الوقوع فيها مستقبلًا ، وبذلك يتكوَّن لديه إحساس قوي بالإنجاز ، وتفهُّم أكثر واقعية لماهية الفشل.
- يجب أن نفهم خصائص كل طفل وكذلك قدرته واستعداداته ، فنحن نجد أن بعض الأطفال لديهم استعداد قوي للقراءة ، بينما البعض الآخر ليس كذلك .. وهكذا . وعلى

ذلك فلابدّ من أن تكون الأعمال والواجبات – المطلوب من الطفل أداؤها – فى مستوى قدراته وتتفق مع ميوله واستعداداته .

- أن تتاح للطفل الفرصة لإظهار انجازاته ، فإذا أردنا إعطاء الطفل إحساسًا عالياً بالإنجاز ، علينا من وقت لآخر أن نتيح له فرصة لتلخيص أعماله التى قام بها ، وأن نطلب منه أن يذكر ما اكتسبه من أنشطة فى فترة مُعيَّنة .. وهكذا .
- أن يتم امتداح الطفل بكل صدق وأمانة ، إذ لا يجب أن يُمتدح على أشياء لا تستحق المدح .
- تجنُّب مقارنة الطفل بغيره من الأطفال ؛ فمن المؤكد أنَّه لا يوجد معيار واحد لأداء جميع الأطفال ، بحيث نتوقع منه نفس نوع الأداء أو العائد .
- عدم إشعار الطفل بالنقص ، كأن نصفه بأنَّه لا يُجيد عمل شىء مُعيَّن ، أو لا ينجز أعماله على نحو مُرضٍ ، على أنَّه إذا كانت تواجه الطفل مشكلات فالأجدى أن نحاول علاجها وتلافيها .
- يجب ألَّا يضع الآباء والمربون واجبات أو أعمالاً تستنزف كل طاقات الطفل ، كما يجب البُعد عن انتقاده أمام الآخرين وعدم مهاجمته إذا أخطأ أو أخفق.
- يجب تشجيع اهتمامات الطفل وتنمية هواياته ، ولذلك يجدر بالآباء والمربين ألَّا يجبروا الطفل على أن يفعل ما يفعله أطفال آخرون .
- يجب على الآباء والمربين عدم تكليف الطفل بمهام قد تبدو غامضة لا يستطيع تنفيذها، كما يجب عدم خلق مواقف تجعله يُحس بعدم الأمن وفقدان الثقة .

• ثامنًا : إشباع حاجة الأطفال إلى الانتماء :

لابدّ أن نؤكِّد فى البداية أنَّ الإنسان بطبيعة تكوينه هو كائن اجتماعي ، وبالتالى فإنَّه يحتاج دومًا إلى الانتماء لجماعة ، حيث يكتسب ذاتيته ومكانته الاجتماعية ، عندها يشعر بالراحة والسعادة والصفاء النفسي .

والفرد منذ أن يعي ذاته ويعي الآخرين من حوله يُحس أنَّ حياته مرتبطة بجماعة الأسرة التى تكفل له كل احتياجاته عن طريق إشباع هذه الحاجات إشباعًا سويًّا وصحيحًا، فيحس بالانتماء إليها ، وإلى كل فرد من أفرادها ، فالأسرة هى أول جماعة ينتمي إليها الفرد ، فهى التى يقترن اسمها باسمه ، وتظلّ تصاحبه طوال مراحل حياته حتى وإن

استقل عنها فيما بعد . ثم تتسع دائرة الانتماء ، فينتمى الفرْد إلى جماعات أُخرى عديدة كجماعة الرفاق والأصدقاء ، وجماعة المدرسة ، ثم الجماعات الدينية أو السياسية أو الرياضية.. إلخ .

وللأسرة دور مهم وحيوى فى اختيار هذه الجماعات التى ينتمي إليها الفرد (طفلًا أو مراهقًا) ، فهى تبصِّره بأهداف هذه الجماعات ، وفوائدها أومضارّها ، كما توجهه إلى أُسس التعاون والمشاركة الاجتماعية السليمة ، فلا غَرو إذًا أنْ يكون لهذا الدور التوجيهي الذي تقوم به الأسرة قيمته وفائدته .

• الانتماء بين الوراثة والاكتساب :

يولد الفرد كائنًا بيولوجيًّا لا يعرف شيئًا عن المقومات الاجتماعية ، ثم يتشرَّب تدريجيًّا قيم وعادات وتقاليد المجتمع ، بيد أن هذا التشرُّب يتَّسم بأنَّه تشرُّب تفاعلي ، فالفرد يقف من المؤثِّرات الاجتماعيَّة المُحيطة به موقف المنتقى ، وإن كان انتماؤه فى بدء الأمر لا شعوريًّا .

ولعلَّ أول قناة اتصال تتوافر أمام الوليد هى تلك القناة الحسيَّة المباشرة بينه وبين والدته ، لما تُشبعه من حاجات بيولوجية كمنحه الحُبّ والإيثار والحنو والأمان . فيشعر الطفل بالانتماء ، ويُحس بالولاء أو التوحُّد بينه وبين ذلك الكائن الحىّ الذى انبثق عنه . وإن كان هذا التوحُد الاندماجي لا يستمرُّ طويلًا ، فعندما تأخذ شخصيته فى التبلور تظهر لديه مقومات الرَّفض والعناد والمقاومة.

ومع استمرار نموّ الطفل تتسع دائرته الاجتماعيَّة التى يتحرَّك فيها ، حتى أنَّه بمرور الوقت يستطيع أن يتفهَّم ما يجرى فى عالم الكبار ، ويشرع فى تكوين صداقات جديدة ، ويمكنه أيضًا أن يتفهَّم بعض المعانى الاجتماعيَّة كالتعاون والتنافس .

ويصير كذلك أكثر قدرة على التعامل مع التصوُّرات والمفاهيم المُجرَّدة وبالتالي فإن إنتماءاته لا تكون للأشياء والكائنات المفردة ، بل تكون للكليات، أو لما ليس واقعًا فى نطاق المحسوسات Concretes ، وهكذا يتم تشرُّب المجتمع لا باعتباره كيانًا إستاتيكيًا محسوسًا، بل باعتباره مفهومًا أو تصوُّرًا مُجرَّدًا .

ونستطيع أن نؤكِّد أنَّ الجنس البشرى صار مُجبرًا على الانتماء ، لأنَّ الإنسان كائن اجتماعي بتكوينه ، يميل إلى آخرين ، يتفاعل معهم ، يؤثِّر فيهم ويتأثر بهم ، فالفرد

يرتبط مع الآخرين بمصالح مشتركة تدعو إلىٰ التعاون والارتباط ، فيعطى ويأخذ ، يتلمَّس من الآخرين الحماية والمساعدة ، وفى الوقت ذاته يشعر بأنَّه يستطيع أن يمدَّ يدّ العون والمساعدة إلى الآخرين وحول هذا المعنى يوضح "كارل يونج" أنَّ الإنسان إنَّما يُشارك الكثير من الكائنات الحيَّة فى غريزة الانتماء .

وإذا نظرنا إلى الانتماء باعتباره مكتسبًا Acquired من البيئة المُحيطة بالفرد ، فإنَّ اكتسابه يتمُّ بواسطة مجموعة مُعقَّدة من العمليات التفاعلية فيما بين الإنسان والبيئات المُحيطة به . ويؤكِّد علماء النفس والتربية أنَّ الإنسان يحتاج إلى جماعة يكتسب عنها "الأعراف" ، (والعرف Custon يعنىمجموعة من التقاليد والعادات المتعارف عليها لدى الجماعة ، والمتوارثة من جيل إلى جيل ، والتى تقوم بتوجيه تصرُّفات الإنسان الظاهرة أو النمط السلوكى بين الناس والجماعات عبر فترة زمنية طويلة ، ينجم عنها الاكتساب والتعلُّم والتثقُّف ، ولكنه لا يخضع لمفهوم الوراثة البيولوجية) . كما يكتسب الإنسان عنها "القيم" Values والمعايير الاجتماعيَّة والسلوكية التى تجعله – فى نهاية المطاف – يتكيَّف تكيُّفًا سليمًا مع البيئة التى يعيش بكنفها .

• نظرة حول أهم الانتماءات التى يمرّ بها الطفل :

أولاً : الانتماء الأُسري أو العائلي :

يقوم بناء الأسرة على الزواج ، ذلك الرباط المقدَّس ، ثم يتكوَّن كائن حيّ جديد هو الجنين Fetus حتى يولد . وبعد الميلاد يظل الوليد مُتعلِّقًا بثدي الأم حتى يستقل تدريجيًّا ، حينما يبدأ فى تناول أطعمة أُخرى . والطفل يظلّ دائمًا فى حاجة إلى رعاية أمه وعنايتها بسائر شئونه ، حتى أنَّ الأب نفسه يتطلَّع إلى زوجته لتؤدِّىَ واجباتها ومسئولياتها تجاهه .

ويحس الطفل بالانتماء إلى أُسرته لأنَّها مصدر غذائه كما أنَّها تكفل له الإقامة فى سكنٍ يجمع فى إطاره أفراد الأسرة . بحيث يعني السكن عملية نفسيَّة، لأنَّه بمثابة جهاز تجميع متكامل لأعضاء الأسرة ، فيضمن لأفراده فى النهاية الدفء والحماية والشعور بالأمن .

هذا التكامل البيولوجي والسيكولوجي للأسرة – ومن ثمَّ الإحساس بالانتماء إليها من جانب أعضائها – إنما يرجع إلى عوامل وراثية من جهة ، وإلى عوامل بيئية من

جهة أخرى ، فحيث أن الأبناء هم نتاج بيولوجي للوالدين ، فإنَّهم يحملون مقومات الوراثة Inheritance منهما ، وهذا الانتماء البيولوجي يوجد على مستويين :

- الأول : لا شعوري Unconscious ، أى الانتماء الحيوى للسلالة .
- الثاني : شعوري Conscious ، حيث يُحسُّ أفراد الأسرة بالتكافل والتكامل . Symbiosis فيما يتعلَّق بتلك المقومات المهمة فى استمرار الحياة كالطعام والشراب والمأوى . على أنَّه يوجد تلاحم بين هذين النوعين بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

ومادامت حياتنا الوجدانية العاطفية منبثقة من وجودنا البيولوجي ، ومادمنا متكاملين بيولوجيًّا مع الأسرة لزم أن يتم التكامُل العاطفي بالارتباط وجدانيًّا وعاطفيًّا بالأسرة .

كذلك فالأسرة تُشكِّل الخلية الثقافية الأولى التى يستمدُّ منها أطفالها الخطوط العريضة لثقافتهم . ومن المعروف أنَّ الطفل يتسلَّح بأول أداتين لغويتين ، هما:

- أداةٌ لإبدال الخوف والغضب المتمثِّل فى البكاء .
- أداةٌ أُخرى مناقضة لإبداء البهجة والرِّضا والسرور تتمثَّل فى الابتسام والضحك .

ومن هذا المنطلق يبدأ الطفل فى تطوير لغة الكلام . ونذكر أنَّه كلما كان السُّلم التفاعلي فى الأسرة متَّسقًا ومنتظمًا وخاليًا من الفجوات كان النموّ الثقافى للطفل متكاملًا . ولذلك ، فإن الطفل كى يتكامل ثقافيًّا يجب أن يكون فى حالة انتماء أُسري بدءًا بميلاده بحيث يأتي تطوره الثقافي التالي استمرارًا لخط البداية الذى انطلق منه .

وينبغى للأسرة أن تأخذ على عاتقها تعليم أطفالها العادات التى تنظم حياتهم الحركية ، كتناول الطعام والتمسُّك بعادات النظافة ، أيضاً تُعلِّمهم كيفية توظيف انفعالاتهم بحيث يوجهونها ويوظفونها لخدمة أهداف سويَّة .

كما أنَّ الأسرة لابد أن تقوم بدور مهم فى التربيةُ متمثلًا فى إكساب الطفل التقاليد الموروثة والعادات الاجتماعية ، لأنَّها تعتبر المجال التدريبي الأول الذى يُعدُّ الطفل للانخراط والتفاعل مع البيئة الاجتماعية . كما أنَّها تُشرِّب أطفالها القيم الأخلاقية والمُثل العُليا كي يحققوا التكيُّف السوى مع الواقع الاجتماعي القائم . فلابدّ للأسرة إذًا من تحقيق تطور أخلاقي رفيع المستوى باقتفاء أثر مُثلٍ هى المُثل العُليا نفسها التى ينشدها المجتمع ويطمح فى الوصول إليها .

والأسرة مُكلَّفة بدورٍ آخر مُهم ألا وهو تشجيع الأطفال والناشئة على التعبير عن وجهات نظرهم ، وتكوين فلسفتهم الخاصَّة بهم ، وهو أمر لا تعارُض فيه مع روح الانتماء الأسري . فنحن فى ظلّ الفلسفات التربوية الحديثة لا ندعم ولاء الخضوع الأعمى للأفراد؛ لتصير لهم فلسفة خُلقيَّة واضحة المعَالم لا لَبس فيها ولا غموض ، منبثقة بطبيعة الحال من مبادئ الأديان السماوية .

• ثانيًا : الانتماء الوطنى :

الانتماء إلى الوطن لا يعنى أن أفراده يتنازلون عن فرديتهم من أجل الاندماج فى القوام الاجتماعي الكُلي ، مناهضين الاستقلال الفكرى والابتكار الفردي ، أو الأفراد الذين لا يعبأون بالأعراف والقيم الاجتماعية ، وقد أخذوا يسلكون على نحوٍ يُناهض مؤسساته الاجتماعية والمستحدثات العلمية والتكنولوجية الحديثة .

ولكن الانتماء الذى ندعو له ونبشر به هو خدمة الوطن الذى ينتمي إليه أفراده بلا تنازع أو نزاع ، ذلك أنَّ التطوُّر المنشود للوطن لا ينبع إلَّا من صميم قوامه ومن عناصره ومقوماته الثابتة فيه .

وعلى ذلك فالوطن هو نقطة البداية لتحقيق ذوات أفراده بلا أدنى إحساس بالاغتراب Alienation ، أو شعور بالمخاصمة تجاهه . لذلك يجب أن يظلّ أفراد الوطن فى حالة تفاعل ديناميكى Dynamic مع واقعه ومستقبله .

ويمكننا أن ننظر إلى الوطن من زاويتين زاوية "الأخذ" وزاوية "العطاء" ، نحن نأخذ من الوطن ونعطيه أيضًا . ويخطئ تمامًا ويُجانبه الصواب من يعتقد فى تعامله مع الوطن أنَّه يكفى بالأخذ منه ، ثم يَضِنُّ بالعطاء من أجله، أو من ينظر إلى الوطن نظرة عداء وعدوان فيبدأ فى نهب خيراته وتبديد ثرواته بطريقةٍ أو بأخرى .

وهناك مجموعة من الأُسس تُحدِّد تعامل المواطن مع وطنه نوجزها فى الأفكار التالية :

- خلال مرحلتي الطفولة Childhood والمراهقة Adolescence يأخذ الفرد من وطنه دون أن يُقدِّم له شيئًا .
- الفرد منذ ميلاده يتلقَّى من والديه ومُعلِّميه وغيرهم خبرات تربوية ومهنية ومعرفية ،

تصقل شخصيته وتبصّرهُ بحقوق وواجبات المواطنة الصالحة المنتجة ، لذلك يتحتَّم عليه أن يُسدِّد نفس الدين بأن يُشارك بفاعلية فى تربية الأجيال الصاعدة .

- المواطن السَّوى هو المواطن المنتج سواء كان إنتاجه ماديًّا أم معنويًّا .
- أن يكون التزام المواطن السياسي أو الحزبي قائمًا على الاقتناع والإيمان ، فالمشاركة فى عملية الانتخاب أو الاقتراع هي نوع من العطاء للوطن ، وفى الوقت نفسه يجب على النظام السياسي السائد أو القائم أن يكون مستعدًا للإصغاء إلى أصوات المُعارضة .

• غريزة تجسيد الوطن :

من المفترض أنَّه لدى الإنسان "غريزة" Instinct تدفع به إلى تشخيص الأشياء، فالوطن عبارة عن أرض وسماء ، شعب ومؤسسات ، ومجموعة من العادات والتقاليد ، وإرث حضاري وثقافي .. هذا كلَّه يتجسّد فى ذهن المواطن فيخاطبه ويناجيه . وتكمن هذه الظاهرة فى عملية نفسيَّة تُسمىّ عملية "الإسقاط" Projection ، ولذلك فالشعراء عندما يناجون أوطانهم إنما يسقطون طبيعتهم الإنسانية على طبيعة الوطن المعنوية .

ونستعرض فى الفقرات التالية بعض هذه النماذج الإسقاطية ، فالشاعر المصرى "محمود حسن إسماعيل" (1910-1977م) عندما يُناجى نيل بلاده ، فهو يقول :

سَمِعْتُ فى شَطِّك الجميل ... ما قالت الرِّيحُ للنَّخيل
يُسبِّح الطَّيرُ أم يُغنِّى ... ويَشْرحُ الحُبّ للخَميل
وأغصُنٌ تلك أم صَبَايا ... شَربن من خمْر الأصيل؟

أمَّا الشاعر "حافظ إبراهيم" (1871-1932م) فيصف حضارة وطنه ومجدها بين الأمم بقوله :

وقف الخَلْقُ ينظرُون جميعًا ... كيف أَبْنِى قواعد المجْد وحدي
وبُنَاةُ الأهرام فى سالف الدَّهْـ ... ـر كَفَوْني الكلام عند التَّحدِّي
أنا تاجُ العَلاءِ فى مَفْرَق الشَّرْ ... قِ ودُرَّاتُهُ فَرَائدُ عِقْدِي
أيُّ شيء فى الغرب قد بَهَرالنَّا ... س جمالًا ولَم يكُنْ منْهُ عِنْدِى
فتُرابي تِبْرٌ ونَهْرى فُرَاتٌ ... وسمائي مصْقُولة كالفِرنْدِ

obeikandi.com

.. بهذين النموذجين نستطيع أن نقرِّر أنَّ الذى يخاطبه المرء عبارة عن مُركَّب ذهنى، ينشأ نتيجة تفاعل الخبرات المستفادة من الخارج مع المقومات الوجدانية الذاتية التى يُقدِّمها المرء إلى تلك المقومات الموضوعية ، ويجعلها تتفاعل مع بعضها البعض .

هذا .. وتأتى الأسرة فى مقدمة مَنْ يُشرك فى تكوين ذلك المُركَّب الذهنى ، فالأسرة هى الوطن الأول للطفل ، فكلَّما كان ذلك الوطن الصغير متجاوبًا مع الطفل مشبعًا لحاجاته ورغباته الأساس ، نجح فى جذب الطفل إليه ، وبالتالي تحقيق انتمائه .

ثم تأتى البيئة المحلية كالقرية أو المدينة أو الشارع أو الحي الذى تقطنه الأسرة .. هذه البيئة تترك انطباعها فى وجدان الطفل ، فتساهم أيضًا فى تشكيل صورته الذهنية عن الوطن .

ثم بيئة المدرسة حيث العلاقات الاجتماعية الغريزية والمتشابكة ، وما يُفرض على التلميذ من قواعد ونظم وقوانين ، بالإضافة إلى المعلومات والمعارف التى يتلقَّاها ، ووفرة ما يقرؤه ويستوعبه عن المجتمعات الأخرى التى قد تتغاير أو تتباين مع مجتمعه . علاوة على الحقائق التى لم تكن متيسِّرة له من قبل ، والتى تخصُّ وطنه فيتعلَّمها ويهضمها ، وعلى ذلك فكلَّما نجحت المدرسة فى خلق المناخ المُحبَّب للطفل نجحت فى تحقيق انتمائه إليها.

بعد ذلك تأتي بيئة العمل ، حيث ينخرط الفرد فى الحياة العملية ، ومن الطبيعى أنَّه كلَّما شعر الفرد بالرِّضا عن العمل الذى يقوم به ويؤدِّيه ، والذى يوفِّر له الدخل المعيشي المناسب واللائق ، ازداد انتماؤه لعمله .

أمَّا البيئة الدينية ، فهى حجر الزاوية فى تشكيل ذلك المُركَّب الذهنى حيث تُشكِّل دور العبادة دائرة مهمة من الدوائر التى تمدُّ الفرد بالانطباعات المُحدَّدة عن هذا الوطن .

والانتماء الوطنى فى سبيل تحقيقه على نحوٍ مُرْضٍ قد تعترضه عدة معوِّقات نوجزها فى النقاط التالية ، حتى يمكن تلافيها :

1 - فشل الأسرة أو المدرسة فى غرس روح الانتماء :

إذا كانت الأسرة ممزَّقة العلاقات ، يشيع فى جوّها روح البغضاء والتوجُّس والأنانية وغيرها ، فإنَّها بالتالي لا تستطيع أن تقوم بتنشئة أفراد لديهم انتماء إليها ، وهذا ينسحب بإزاء البيئة المدرسية والبيئة المحلية . فإذا كانت المدرسة منفصلة عن الواقع البيئي ، ويلازمها الإخفاق فى محاولاتها لجمع شمل تلاميذها تفشل فى غَرس روح الانتماء بين

تلاميذها ، وإذا كانت البيئة المحلية مضطربة يشيع فى علاقاتها التفكك والانتهازية والتخبُّط ، فشلت أيضًا فى غرس روح الانتماء بين أفرادها ومواطنيها .

وعلينا أن ندرك فى هذا الصدد أن الوطن يبدأ فى دائرة صغيرة هى دائرة الأسرة، ثم يتسع بحيث يشمل ويستوعب باقي الداوئر . كذلك فإنَّ الحُبّ ومن ثمَّ الانتماء وينمو نموا طبيعيًّا ومتدرجًا من المجال الأضيق إلى المجال الأرحب .

2 - **البطالة :**

من العوامل التى تُقوِّض روح الانتماء الوطني ، عدم توافر فرص العمل والوظائف والأنشطة التى يشعر من خلالها الشباب بأنَّهم إيجابيون ومنتجون ومشاركون حقيقيون فى بناء أوطانهم . قسْ على ذلك مشاعر الضيق والتبرُّم عندما تهم الدولة بإلحاق الشباب فى وظائف أو أعمال لا تتناسب مع طبيعة خبراتهم أو مع نوعية مؤهلاتهم ، أو أنَّ الرواتب التى يتقاضونها لا تُلبِّى احتياجاتهم وطموحاتهم . إنَّ هذه المشاعر المُحبطة لابدّ وأن تكون مصحوبة بعدم الانتماء ، ومن ثمَّ فقد تنتقل مشاعر الانتماء إلى مجتمعات أُخرى .

3 - **المشكلات الاقتصادية :**

ممَّا لا شك فيه أن المشكلات الاقتصادية أو الأوضاع الاقتصادية المتردِّية تُخيِّم بظلالها الكئيبة على المجتمع ، فانخفاض مستوى الدخل ، واشتطاط الأسعار ، واتساع الفوارق الطبقية ، وإثقال كاهل المواطنين بالأعباء الضريبية، كُلها عوامل تحول دون قيام روح انتمائية بين الأفراد وبين أوطانهم .

4 - **وقت الفراغ :**

أدت ظاهرة ارتفاع معدلات البطالة بنوعيها (الظاهرة والمقنَّعة) إلى تناقص فرص العمل أمام الشباب ، وبالتالى ظهور ما يُعرف بمشكلة "وقت الفراغ" Leisure time . ويُقرِّر علماء التربية وعلم النفس بصدد وقت الفراغ الناجم عن هذه المشكلة ، أن الطاقة المختزنة التى لا تجد تصريفًا واستنفاذًا تكون بمثابة قنبلة موقوتة توجه إلى التدمير والتخريب وأعمال العنف .

والملاحظ أنَّ المُخرِّبين والمتآمرين وفاقدي الولاء لأوطانهم يزدادون عددًا وخطورةً فى الأقطار التى تُعاني مشكلات بطالة ، ومن ثمَّ وقت الفراغ ، ذلك لتفشى روح الكراهية فى صدورهم من جرَّاء الملل الذى يُصيبهم .

• ثالثًا : الانتماء الثقافى :

الثقافة Culture من الزاوية الأكاديمية : تعنى المعارف المنتقاة ذات المنهج الفكري واللغوي التى تقترب كثيرًا من معنى العلم Science . والمثقف بهذا المعنى الأكاديمي : هو الذى يأخذ بمناهج العلم المتباينة سواء أكانت مناهج استقراء Induction أو مناهج استنباط Deduction ، أم أسس نظرية تبدأ بالنظريات المُجرَّدة ، أم مجموعة من القوانين العقلية المنطقية .

أمَّا الثقافة بمعناها السيكولوجى ، فتعني : صقل العقل الفردى ودعمه ومساندته بالقوالب المنطقية والعقلية ، منها : الإدراك الحسى Perception ، والتذكُّر Anamnesis والخيال Imagination ، والتصوُّر العقلى Visualization ، إضافة إلى الجوانب الوجدانية التى تقوم بتصنيع العواطف Sentiments ، واللغة Language كجانب من الشخصية ، كذلك الجوانب المتعلقة بالمهارات اليدوية Dexteritys .

والثقافة بمعناها الاجتماعى تنصبُّ على طبيعة المجتمع وطبيعة العلاقات الاجتماعية، والقوانين Laws التى تتحكَّم فيها وتسوقها فى اتجاهات مُحدَّدة بشكل دقيق . على أنَّ المجتمعات وإن كانت تتشابه فيما بينها بعض التشابه فى مناحٍ متباينة ، فإنَّها من جهةٍ أُخرى تتباين فيما بينها قليلًا أو كثيرًا .

والمجتمع الواحد يتَّسم باهتمامات مُعيَّنة ، ويضطلع بمناشط متباينة ، بل ويعتزُّ بقيم بعينها ، كما أنَّه يقر ويعترف بمجموعة من المُحرَّمات Taboos التى يأبى على أفراده اقترافها . كما أن المجتمع يحترم مجوعة أُخرى من المقدَّسات يحظر على أي فرد التهجُّم عليها أو التعريض بها ، أو الإعراض عنها .

والتراث الاجتماعي Social heritage يدل على مجموعة العادات والآراء والتقاليد وأنماط المعيشة ، بالإضافة إلى المؤسسات والمنظمات التي تؤلَّف أساس الحضارة والثقافة لدى جماعة من الناس ، فى أي مجتمع من المجتمعات تتوارثها الأجيال وتتناقلها عن بعضها. وقد يعتريها شىء من التحوير والتعديل ، مثلما تخضع للتطوُّر وتتعرَّض للانتقاء بفضل التفاعل والاحتكاك . هذا التراث الاجتماعى الذى عرفناه إنما يُشكِّل الوعاء الحيوي المتدفق لأي مجتمع من المجتمعات كإطارٍ ثقافى لا غنى عنه ، والتراث يتضمَّن عدة جوانب مهمه ، هى :

1 - **اللغة :**

المعروف أنَّ اللغة قد مرَّت بمراحل ثلاث ، هى : مرحلة التعبير الوجدانى، ومرحلة التعبير العقلي ، ثم مرحلة التخزين الخبري .

والواقع أنَّ أهم جانب من التراث يتمثَّل فى اللغة المدوَّنة ، حيث يستطيع الفرد أن يتعلَّم لغات كثيرة ليتسنَّى له أن يقف على الكنوز الثقافية التى كُتبت فى لغات غير لغته الأصلية ، حتى أنَّ الإنسان لا يستخدم اللغة كوسيلة استيعابية لمخزون الخبرة فحسب ، بل يعمد إلى إضافة مخزونة الخبرى بما يؤلِّفه ويبتكره.

واللغة بما تنطوى عليه – من لغة منطوقة أو مكتوبة – تُعتبر بمثابة كائن حىّ يتفاعل مع الخبرات الجديدة للأجيال المتعاقبة . واللغة وإن كانت بمثابة الوعاء الذى تصب فيه المعاني والمشاعر ، فإنَّها فى نفس الوقت ليست مُجرَّد وعاء بل هى لحم ودم ، سيَّما وأنَّ لغةً مثل اللغة العربية هى من أخصب وأثرى اللغات .

2 - **المعتقدات :**

المعتقدات Faitns سواء كانت معتقدات دينية أو معتقدات شعبية ، هى بمثابة نماذج لا يجوز فيها التعديل ، وتعتبر المعتقدات من الدعائم الأساس فى تقوية الانتماء والولاء .

3 - **الفنون :**

تعدّ الفنون Arts من التراث المشترك الذى يُميِّز شعبًا عن آخر وأمَّة عن غيرها .

4 - **العادات والتقاليد :**

تساعد الأفراد على التعامُل بسهولة مع غيرهم ، فهى بمثابة لغة مشتركة لا خلاف عليها ، وقد وهبّ الله سبحانه وتعالى الأمة العربية عادات وتقاليد تكاد تكون قريبة الشبه، فنجد احترام الكبار ، والعطف على الصِّغار ، وإكرام الضيف ، ومناصرة الضعيف ، كلها عادات وتقاليد متوارثة تنتشر فى ربوع الوطن العربى .

5 - **القيم :**

وهى تلك القيم Values الشيئية بالمرغوب والمُستَكْره والقيم المعنوية المتعلقة بالخير والشر . وثمَّةَ أخطاء يقع فيها المجتمع بصدد القيم ، نذكر منها :

- التنازل عن القيم القائمة والإطاحة بها .

- اتِّخاذ موقف الجمود والتقوقع والتحجُّر . وعلى ذلك فإنَّ هذين الخطأين من شأنهما أن يُهدِّدا الكيان الثقافي للأمة والمجتمع . ذلك أنَّ الحياة الثقافية بحاجة إلى قيم أخرى، وأيضًا عدم التحجُّر والتقوقع على حالٍ واحدة، فالثقافة فى تطورها تشبه الكائن الحيّ الذى يتصل ماضيه بحاضره ، وما يتصل حاضره بمستقبله .

والمجتمع يجب أن يجمع فى أنحائه القدرة على التطوُّر Evolution بالقيم من جهة، والقدرة على التحجُّر والتقوقع فى نطاقٍ من القيم يتشبث بها بغير تعديل أو تطوير .

• رابعًا : الانتماء التاريخى :

التاريخ History عبارة عن مجموعة من الأحداث والعمليات المؤثِّرة فى قوام الفرد أو الجماعة ، سواء أكان التأثير قويًا أم ضعيفًا ، مستمرًا أم مؤقتًا ، وهذا يجعلنا ندرك أنَّ الإنسان هو ابن التاريخ الذى عايشه .

وواقع الأمر ، فإننا جميعًا ننتمى إلى تاريخنا سواء كنا مُدركين أم غافلين ، حتى أنَّ كثيراً مِنْ ألوان السلوك Behaviour التى تبدوا كأنها خاضعة للإرادة الفردية أو الجماعية، إنما هى فى الواقع مقومات موروثة تُحرِّك السلوك وتوجهه .

وعلى ذلك .. فالتاريخ ليس مُجرَّد معلومات أو سرديات أو أحداث يجب دراستها لفهمها وحفظها حتى لا تخبو فى طي النسيان ، بل ندرسها ونستوعبها بقصد الإفادة منها سلوكيًا ، ولإعلاء الشأن والإصلاح والتقدُّم والرقى .

إنَّ خبرات آلاف السنين التى تكتسبها الأمم لا تتلاشى منْ قوامها الجمعى بحالٍ من الأحوال ، بل هى تقبع فى ذاكرتها ، ولأنَّها تظل بطريقة أو بأخرى فى حياتها الواعية الحاضرة والمستقبلية أيضًا ، وأمةٌ بلا تاريخ هى أمة ماتت يوم أن ولدت .

والتاريخ مخزون خبرى مهم يحيّا فى نطق مجموع الخبرات الهائلة الشعورية واللّا شعورية ، وهذا المخزون ليس مخزونًا للخبرات الجامدة ، بل مخزونًا أشبه بعالم الأحياء من حيث التفاعل الدقيق والمستمر بين هذه الخبرات الهائلة . فليس التاريخ سجلًّا أو محتوى ساكن بل عالم من العلاقات تتعانق وتتفاعل وتنجب أجيالًا .

إذاً، انتماؤنا الظاهري هو انتماء لِمَنْ نراهم من حولنا ونعايشهم ، أمَّا انتماؤنا الباطني هو انتماء لأولئك الأجداد الذين أورثونا خبراتهم وعقائدهم.

ونؤكِّد فى هذا الصدد أنَّ الشخصيَّة السويَّة لا تستطيع أن تُحقق تكاملها الانتمائي إلَّا إذا استطاعت أن تُحقق لنفسها الاستمرارية التاريخية .. والشخصيَّة بهذا المعنى لا يحق لها أن تغفل بعض الأحداث غير المواتية أو المُعاكسة التى مرَّت بها ، لأنَّ الخبرات المؤلمة والتى تُزعج الضمير كثيرًا ما يغفلها اللَّاشعور. فالطريق الحتمى إلى التكامل الانتمائي الذى ننشده يتحقق أول ما يتحقق بهضهم تلك الآلام التى عانت منها الأمة فى مرحلة من مراحل تطوُّرها ، كما أنَّها لا تعتمد فى المُقابل إلى تزييف الواقع فتصور الهزائم والمِحن على أنَّها انتصارات وإنجازات ، وكذلك فلا تركن بحالٍ من الأحوال إلى اليأس والقنوط بحُجَّة أنَّه ليس فى الإمكان أحسن ممَّا كان .

• خامساً : الانتماء الروحي :

تُعتبر الأسرة ركيزى الحياة الإنسانية ، ومن مسئوليات الأسرة حيال أطفالها إشباع الحاجات البيولوجية والسيكولوجية ، إضافة إلى صبغ سلوكهم بالصِّبغة الدينية وحملهم على الانتماء الديني إلى أقصى حد ممكن ، حتى إذا شبَّ الطفل تبدأ الأسرة فى تلقينه تعاليم الدين ، ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة التقليد أو المحاكاة Imitation ، حيث يبدأ الطفل بتقليد والديه بالصلاة والصوم مثلهما ، ثم تلعب الأعياد الدينية دورها الحيوي فى تأصيل الوزاع الديني ، وفى طور الشباب يبدأ الشاب فى لعب أدوار إيجابية فعَّالة فى الأنشطة الدينية . ويمكن اعتبار مجموع الانتماءات الثقافية والدينية والتاريخية السابقة تُشَكِّل جوهر الانتماء الروحى . فهى معًا تلعب دورًا فى تكوين الشخصية ذات الهُوية الخاصة.

• أهم العوامل التى تؤدى إلى انطفاء بعض الانتماءات وانسحابها إلى انتماءات أُخرى :

1 - عوامل النموّ :

كلَّما نما الفرد ، فإنَّه يخرج من نطاقٍ انتمائي إلى نطاق انتمائي آخر ، فالطفل له انتماءاته التى تتباين عن تلك الانتماءات التى ينخرط فيها حال وصوله إلى مرحلة المراهقة ، وعند وصوله إلى مرحلة النضج فإنَّه يترك كثيرًا من انتماءاته التى انخرط فيها أثناء فترة المراهقة ، وينخرط فى انتماءات جديدة صالحة لهذه المرحلة .. وهكذا .

2 - عوامل اجتماعيَّة :

نحن نرى أنّ الفتاة التى تترك أسرتها الأصلية لتعيش بعد الزواج فى أسرة مستقلة،

فتكون قد حوَّلت انتماءها من أسرتها الأصلية إلى أُسرتها الجديدة التى تنْخرط فيها بكل عواطفها .

3 - **عوامل ثقافية :**

الفرد الذى ينتقل من مرحلة التعليم الثانوى إلى مرحلة التعليم الجامعي ، إنما يعمل على انطفاء انتماءاته القديمة وتركيزها فى انتماءات جديدة موجهة إلى مرحلة التعليم الجامعي .

4 - **عوامل اقتصادية :**

قد يترك الفرد المؤسسة التى يعمل بها ويلتحق بمؤسسة أُخرى سواء وطنه أم خارج وطنه ، وبذا ينطفئ انتماؤه الأول ويركز عاطفته للمؤسسات الأخرى حتى وإن كانت خارج نطاق وطنه .

5 - **عوامل سياسية :**

قد ينتمى الفرد سياسيًّا إلى حزب مُعيَّن من الأحزاب ، ثم لا يلبث أن يختلف معه سياسيًّا أو فكريًّا أو أيديولوجيًّا فنراه يتركه لينضم إلى حزبٍ جديد يُقدم له انتماءه.. وهكذا .

• نموّ حاجة الانتماء عند الأطفل :

المرء فى حاجة إلى أن يشعر بأنَّه من مجموع تربطه به مصالح مشتركة، تدفعه إلى أن يعطى ويأخذ ، وإلى أن يلتمس الحماية والمساعدة من هذا المجموع ، كما أنَّه فى حاجة إلى أن يشعر بأنَّه يستطيع أن يمدَّ غيره بهذه الأشياء فى بعض الأحيان .

وتنمو حاجة الطفل إلى الانتماء منذ الشهور الأولى ، فالحُب أو الألفة التى تتحقق داخل نطاق الأُسرة سرعان ما تصبح ولاءً وانتماءً لهذا المجتمع الصغير ، ثم تنتقل هذه الحاجة للجماعات الأُخرى التى يجد فيها الطفل إشباعًا لحاجته النفسيَّة والاجتماعيَّة .

والطفل كعضو من أعضاء الأسرة يبدأ فى الشعور بأنَّه ينتمى إليها ، فكلَّما تقدَّم به العُمر يزداد هذا الشعور رسوخًا ، وبالتفاعل المتبادل مع أبويه يرى أنَّه ينتمى أيضًا إلى آباء آخرين كأعمامه أو إلى أصدقاء الوالدين . وقد تتاح للطفل الفرص للاحتكاك بالأطفال الآخرين من أقرباء وأصدقاء ، ونتيجة للعلاقات الدافئة الحانية بين الطفل وأمه ، فإنَّه

يتقبَّل الكائنات الإنسانية الأخرى تقبُّلاً يتَّسم بالثقة ، أو يتقبلهم كأناس ودودين ، ثم يتعلَّم كيف يكون ودوداً نحو الآخرين ، وأن يجد أُناسًا يُحبُّهم ويحبونه .

وبمرور السنين يُدرك الطفل أنَّ الانتماء هو الشيء الذى يلقى تقديرًا ، وأن المودة نحو الآخرين هى التى تجعلهم يرغبون فى صداقته ، ولذلك فهو يتوقع أن يكون جزءًا من الجماعة التى يشترك فيها حتى يشعر بالانتماء لا النبذ والاغتراب .

وننوِّه بأنَّ هناك عددًا من الآباء والأمهات يبثون فى أطفالهم اتجاهات سلبية نحو نبذ الآخرين ، وعدم التودُّد مع الناس إلَّا فى حدود ضيقة جدًّا ، وهنا يستلزم من هؤلاء الآباء والأمهات إعادة النظر فيما يتبنونه من اتجاهات ، حيث لا يمكننا تصوُّر حياة بدون أهل أو أصدقاء ، لأنَّه كما قلنا من قبل ، فإنَّ الإنسان كائن اجتماعى بطبيعته ، فكيف ننكر هذه الحقيقة هكذا دون سند ومبرر؟

وهناك حالات ينشأ الطفل فيها بقدرٍ ضئيل من الانتماءات ، كأن يكون وحيدَ والديْه، وهنا يتحتَّم تشجيع مثل هذا الطفل على إقامة علاقات اجتماعية مع أصدقائه وأترابه بشكل أكبر ممَّا لو كان له إخوة أو أخوات .

أيضًا يحس الطفل بعدم إشباع رغبته إلى الانتماء إذا كان غير مرغوب فيه من أصدقائه أو زملائه ، لأنَّه يميل مثلاً إلى العدوانية أو الأنانية أو التسلُّطيه . وهنا يتحتم على الآباء والمربين مُعالجة الانحرافات السلوكية للطفل بأساليب علمية وطرق تربوية ، لأنَّه عندما ينشأ الطفل فى هذه الظروف غير المواتية لإشباع حاجته إلى الانتماء ، فإنَّه يُحس بالنبذ والاغتراب وبالتالي يُصاب بالإحباط ، ممَّا يُصيب صحته النفسيَّة بالخلل والتردِّي .

• كيف نكتشف حاجة الطفل إلى الشعور بالانتماء ؟

يحتاج الطفل بطبيعة الحال إلى الانتماء من خلال تكوين صداقات مع الآخرين ، وأن يصبح عضوًا فعالاً ونشطًا فى جماعة ما من الجماعات ، فإذا لم يُحقق هذا شعر بأنَّه مُهمل أو غير مرغوب فيه ، ومن ثمَّ يُعبِّر عن رغبته هذه بطرق كثيرة ، فنجده يقول ، مثلاً: "لماذا لم يقع علىَّ الاختيار كي أكون عضوًا فى جماعة كذا ؟" أو : "لماذا لا يودُّ زملائي فى المدرسة محادثتي هاتفيًّا ؟" .. إنَّ مثل هذه التساؤلات وغيرها تدل على نقص حاجة الطفل إلى الانتماء .

وعندما يقول الطفل : "أتمنى لو أنَّ والدي يسمحان لى بدعوة أصدقائى المقربين إلى منزلي لنقضي سويًا وقتاً مثلما تفعل أسرة (فلان)" !! .. عندها لابدّ أن يتيقَّن الوالدان أنهما يضيقان الخناق عليه ويحصرانه فى دائرة لا تستوعب أيًا من أصدقائه أورفاقه . وعلى هذا يتحتم أن يُسمح له باستضافة أصدقائه إلى المنزل ليشاركوه أنشطته المختلفة، بل وينبغي الترحيب بهم والعناية بضيافتهم ، فإنَّ مثل هذه الأمور خليقة بأن تجعل الطفل فخورًا بأسرته ، مُعتزًّا بالانتماء إليها .

أمَّا عندما يقول الصِّغار عبارات مثل : "إننى لم أرغب قط فى مصاحبة هؤلاء الأطفال" ، أو : "أنا لا أُحبّ التعامُل مع هؤلاء ، فينبغي إدراك أنَّ الطفل يُعانى من مشكلات سوء توافق أو سوء تكيُّف مع الآخرين ، ولهذا يتحتَّم التصدى لهذه المشكلات التى تواجه الطفل وعلاجها ، بحيث يستطيع أن يتكيَّف تكيُّفاً سويًا وسليماً مع الآخرين .

كما تتجلى حاجة الطفل إلى الانتماء فى الطريقة التى يتصرَّف بها ، فإحساسه بأن الجماعة تنبذه يجعله يُفضِّل البقاء على هامش النشاط الجماعى، فهو يُؤثِر أن يكون متفرجًا لا مشاركًا ، ولذلك كثيرًا ما نراه يلجأ إلى الانفراد بنفسه ، ويتحاشى الاختلاط بالآخرين .

وأحيانًا يشعر الطفل بالحاجة إلى الانتماء بدرجة يتحوَّل معها إلى العدوانية، فقد يحاول شَقّ طريقة عنوه داخل الجماعة ليشاركهم أنشطتهم ، وعندما تطلب منه الجماعة المشاركة فى الأنشطه أو الأعمال المختلفة ليشاركهم أنشطتهم المختلفة نجده يرفض هذه الدعوة رفضًا مُبالغًا فيه ، يتَّسم بالتحدى .

وقد تظهر حاجة الطفل إلى الشعور بالانتماء بصورة عميقة إذا همّ والداه بإرساله مثلًا إلى مدرسة داخلية ، ليعيش فيها بعيدًا عن المنزل لظرف من الظروف، أو إذا أُجبر على أن يمكث فى حجرته دون الخروج منها إذا ما جاء زوار إلى المنزل، أو عندما يُطلب منه ترك حجرته الخاصة أو فراشه الخاص ليستعمله الضيوف ، أو إذا تُرك فى المنزل وحيدًا أو مع مربية وهو يعلم أنَّ والديه ذهبا فى نزهة ، وكان يتمنى فى قرارة نفسه لو صَحِبَاه معهما كما يفعل باقى الآباء والأمهات مع أطفالهم. كل هذه التصرُّفات تُزيد من شعور الطفل بالحاجة إلى الانتماء لأنَّه يُحس بالنبذ والاغتراب ممَّا يترتب عليه أسوأ النتائج .

• وسائل إشباع حاجة الأطفال إلى الانتماء :

- ينبغى على الأسرة وهى تقوم بالتنشئة الاجتماعية ألَّا تُهمل الجانب الروحى فى إطار التكامل الانتمائى لها ، ولهذا الجانب عدة مبادئ يجب على الأسرة غرسها فى أطفالها، منها :
  - الإيمان المُطلق بالله سبحانه وتعالى الذى يرعى الكون من منطلق عدالته ورحمته ، وتدبيره سبحانه لأمور الناس من صحَّةٍ ورزق وسعادة .. إلخ
  - الإيمان بقيمة الإنسان وتفرُّده عن سائر الكائنات بما وهبه الله سبحانه وتعالى من عقلٍ ورؤية وبصيرة ومشاعر وأحاسيس .
- أن تقوم الأسرة بإشباع حاجات أطفالها البيولوجية والنفسيَّة والاجتماعية ، وأن يسود الأسرة جوٌّ من الهدوء والسكينة والأمن والحُبّ ، لأنَّ هذا يُساعد على شعور الأطفال بإشباع حاجاتهم إلى الانتماء .
- أن نُقدِّم لأطفالنا المثل الأعلى والقدوة الصالحة كنماذج سويَّة يُحتذى بها .
- يجب أن يشعر كل طفل بذاته ، وبأنَّه يُكوِّن جزءًا لا يتجزأ من قوام جماعته التى ينتمى إليها .
- أن يُشارك الأطفال بكل قوة وفاعلية فى الحفلات والندوات والمعسكرات والجولات والرحلات،لأنَّ هذا يُشعرهم بأهميتهم وبمدى انتمائهم إلى الجماعة.
- أن يُعوَّد الأطفال على الإنتاج المادي والمعنوي انطلاقاً من أن الشخصيَّة السويَّة هى الشخصيَّة المنتجة .
- أن يُشارك الشباب على وجه الخصوص فى عمليات الانتخاب أو الاقتراع، لأنَّ هذا يمنحهم الإحساس بالمشاركة الوطنية ، ومن ثمَّ غرس قيم الولاء والانتماء للوطن .
- أن تقوم الدولة وسائر مؤسساتها بتوفير فرص العمل الملائمة والمناسبة للشباب ، حتى يتحقق لهم الاستقرار المعنوي والاجتماعي والمادي .
- أن تتكاتف الأسرة والمدرسة وسائر المؤسسات والهيئات الأخرى المتواجدة فى البيئة المحلية لشغل أوقات الفراغ بالنسبة للأطفال والشباب ، وخصوصًا فى العطلات المدرسية .

obeikandi.com

- أن تُنظم المدارس والجامعات رحلات تتسم بصبغة تاريخية لزيارة الأماكن الأثرية والمتاحف والمعارض ، بهدف ربط الأطفال والشباب بتاريخ بلادهم ومن ثمَّ يتم تحقيق الانتماء التاريخي .
- الاهتمام بإحياء التراث والمحافظة عليه مع تطويره بما يتلاءم مع متطلبات الوقت الراهن .
- الاهتمام بتدريس اللغة العربية فى المدارس والجامعات ، لأنَّها تعتبر بمثابة الوعاء الذى يغترف منه أبناء الأمة وجودهم وبقاءهم .
- المحافظة على معتقداتنا وقيمنا المستمدة أساسًا من جوهر الأديان السماوية، حتى نظل شعبًا متميزًا فى ظلِّ متغيرات القرن الحادي والعشرين الذى يتميَّز بالتفتُّت أو التشظي فيما يُعرف باسم "العولمة" .

obeikandl.com